أثر الإيمان في توجيه الخلق الحسن

(نبي اللّه يوسف – عليه الصلاة والسلام – أنموذجاً)

دكتورة

جواهر بنت هداية اللّه مخدوم

أستاذ مساعد ـ جامعة طيبة ـ المدينة النبوية

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد:

لاشك أن الإيمان هو الأساس القويم والركن المتين ، لقيام شجرة الأخلاق الفاضلة ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ {سورة الأعراف:الآية:٥٨} فالإيمان بالله هو الذي يضمن للفرد والمجتمع الحياة السعيدة ،والعيش الرغيد ،والخير المستمر، والخلق الحسن ،والثمار اليانعة ،والأكل الدائم ،فإن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على الإيمان وأهل الإيمان متفاوتون وأعظمهم الأنبياء فهم أفضل البشر وما داموا كذلك فإن أخلاقهم أعظم الأخلاق، وآدابهم وهديهم أكمل وأفضل الآداب، ولما كان الأمر كذلك أمرنا الله بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم كما قال تعالى

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ ﴾{سورة الأنعام: الآية:٩٠}

وفي هذا البحث قراءة لأثر الإيمان في ظهور أخلاق ذوي الأخلاق، وقد اخترت نموذجاً من سيرة نبي الله-يوسف –عليه الصلاة والسلام – للاقتداء والتأسي به في سلوكه وخلقه مما يؤكد أن الإيمان قول وعمل وأن الأخلاق منبعها من جوهر العقيدة الصافية السليمة يقوى ويضعف بها.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الكريم المنان، الذي هدانا للإسلام، ومن علينا بنعمة التوحيد والإسلام، مُنزل الفرقان على ولد سيد عدنان، الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ.** ﴾"{سورة القلم الآية:٣} لك الحمد ياربنا حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

لا شك أن للإيمان منزلة عظيمة، ومكانة عالية رفيعة، فهو أهم المهمات، ومن أوجب الواجبات، وهو القوة الدافعة للأخلاق والمكرمات، والقوة العاصمة من الوقوع في الزلات والدنيّات، وله الأثر الكبير البالغ في ضبط الأفعال والتصرفات، من فعل للخيرات، وترك للمنكرات

وبالجملة: فإن كل خير ديني أو دنيوي، يرجع إلى الإيمان وكماله، وكل فساد وشر، يرجع إلى ما يناقضه أو ينقص منه، وأهل الإيمان متفاوتون وأعظمهم الأنبياء فهم أفضل البشر وما داموا كذلك فإن أخلاقهم أعظم الأخلاق، وآدابهم وهديهم أكمل وأفضل الآداب، ولما كان الأمر كذلك أمرنا الله بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم، كما قال تعالى﴿ **أولئك الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾{سورة الأنعام: الآية:٩٠}

والإيمان قول وعمل ومما يدل على ذلك:

١-أن الإسلام جمع بين الإيمان والعمل الصالح في أكثر من ثمانين موضعاً

كما في قوله تعالى﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾{سورة العصر: الآية:٣}وقوله تعالى ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** ﴾{سورة النساء: الآية:١٢٤} فهما قرينان لاينفك أحدهما عن الآخر.

٢-أن الإسلام ربط بين الإيمان والأخلاق الحسنة، فإن من مقتضى الإيمان بالله تعالى أن يكون المؤمن ذا خلق حسن، ولذلك نجد اقتران عقيدة الايمان بالأخلاق الحسنة كما في قوله تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ.** ﴾{سورة التوبة: الآية:١١٩} وقوله﴿ **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾{سورة المائدة: الآية:١}

وقوله عليه الصلاة والسلام "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم"[١]

فهذا دليل على أن الأخلاق الفاضلة دليل على الإيمان.

ومما يؤكد أهمية هذا الجانب في منهج السلف أن العلماء منذ القرون الأولى الذين ألفوا في باب العقيدة ختموا كتاباتهم بذكر كثير من الجوانب الأخلاقية السلوكية للدلالة على أن هذا الدين قول وعمل واعتقاد وأن منهجهم ليس نظريا فقط بل هم مع هذه الأصول يدعون إلى الأخلاق الحسنة ،والآداب الكريمة ،

من الأمثلة على ذلك:

١–قول الامام المُزني ــرحمه الله–[٢] في رسالته شرح السنة ختمها بذكر جملة من الأخلاق التي ينبغي التخلق بها مع الاعتقاد الصحيح فقال: "واجتناب المحارم، والاحتراز من النميمة، والكذب، والغيبة، والبغي بغير الحق، وأن يقال على الله مالا يعلم ،كل هذا كبائر محرمات والتحري في المكاسب، والمطاعم، والمشارب ،والملابس، واجتناب الشهوات؛ فإنها داعية لركوب المحرمات "[٣]

٢–وقال أبو عثمان الصابوني النيسابوري [٤]"ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام على اختلاف الحالات، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف والسعي في الخيرات، واتقاء شر عاقبة الطمع، ويتواصون بالحق والصبر"[٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده(٢/٢٥٠)،وأبو داود في سننه كتاب (الايمان)باب(الدليل على زيادة الايمان ونقصانه)(٤/٢٢٠) حديث رقم:(٤٦٨٢)، والترمذي في سننه كتاب (أبواب النكاح :(١١٦٢) وقال الترمذي: حسن صحيح .

(٢) (أبو إبراهيم) إسماعيل بن يحي بن إسماعيل المزني الامام العلامة الفقيه الزاهد الورع أعلم أصحاب الشافعي ولد سنة١٧٥هله مصنفات توفي ٢٦٤هـ ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٢/٤٩٢) ،البداية والنهاية((١١/٣٦).

(٣) شرح السنة ص٩١.

(٤) (أبو عثمان) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني كان إماما حافظا أحد الأعلام شيخ خراسان في زمانه ولد سنة٣٧٣له مصنفات توفي سنة ٤٤٩هـينظر في ترجمته: البداية والنهاية(١٢/٧٦)، شذرات الذهب (٣/٢٨٢).

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص١١٣.

٣–**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله** –[٦] في عقيدته الموسومة بالعقيدة الواسطية ثم هم أي أهل السنة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، حتى قال رحمه الله: ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة إلى أن قال: ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء، والرضا بمُر القضاء ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً" ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها." [١]

٤–**وقال القِنَّوجي** –رحمه الله–[٢]" واجتناب الكبائر، والزنى، وشرب الخمر، والسرقة، وقول الزور، وشهادة الزور، والمعصية، والفخر، والكبر، والازدراء على الناس، والعجب، والتفاخر بالأنساب، والطعن في الأحساب، ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، مع التدبر والامعان، وكتابة الآثار، ودرس الأحاديث، والتمسك بها في كل حال من السخط والرضا، والنظر في السنة، مع التواضع والاستكانة، وحسن الخلق وبذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة "[٣]

وفي هذا البحث قراءة لأثر الإيمان في ظهور أخلاق ذوي الأخلاق، ومما يؤكد أن الإيمان قول وعمل وأن الأخلاق منبعها من جوهر العقيدة الصافية السليمة يقوى ويضعف بها

ويكمن **أهمية** هذا البحث: في كونه يندرج تحت أصلين عظيمين من أصول الإيمان وهما: الإيمان بالله والإيمان بأنبياء الله ورسله، وهذا الموضوع سيكشف لنا أثر الإيمان الصحيح على خلق المرء المسلم، وأن الإيمان إذا وقر في القلب صدقته الجوارح.

---

(٦) (أبو العباس) أحمد بن شهاب الدين بن عبد الحليم (ابن تيميَّة الحراني) الإمام البحر الهُمام شيخ الإسلام وقدوة الأنام ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ . ينظر في ترجمته: العقود الدرية في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢، الدرر الكامنة (١٦٨/١).

[١] العقيدة الواسطية ص

[٢] (أبو الطيِّب) محمد صديق بن حسن القِنَّوْجي البخاري الإمام العلامة المحقق محيي السنة ولد سنة ١٢٤٨هـ وكان آية من آيات الله في العلم والأخلاق الفاضلة توفي سنة ١٣٥٧هـ ينظر في ترجمته: (مقدمة قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر) د. عاصم القريوتي ص١١.

[٣] قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص١٥٢.

وفي هذا البحث **إجابة على عدة تساؤلات منها:** ما لخلق وما أنواعه؟ وبيان حقيقة الإيمان؟ وهل القول والعمل متلازمان؟ وأثر الإيمان في حياة الأفراد والمجتمعات، وبيان مكانة الأنبياء والتأسي بهم؟ ومن هو نبي الله يوسف –عليه الصلاة والسلام؟ وأثر الإيمان في ظهور الأخلاق الجميلة عند نبي الله يوسف من خلال نصوص القرآن والسنة. ولما رأيت ظهور كثير من الأمراض الاجتماعية والنفسية والسلوكية والأخلاقية في واقع حياتنا رأيت أن أكتب في هذا الموضوع واخترت أن يكون العنوان

"أثر الإيمان في توجيه الخلق الحسن – نبي الله –يوسف –عليه الصلاة والسلام – أنموذجاً–

أسباب اختيار الموضوع:

١–بيان وتوضيح الآثار المباركة للإيمان في توجيه السلوك الحسن.

٢–بيان أن هذا الدين قول وعمل وأن العمل لا ينفك عن الإيمان ...

٣–الحاجة الملحة تدعو إلى إخراج مثل هذا الموضوع بسبب ظهور وتفشي كثير من الأمراض الاجتماعية والنفسية والسلوكية والأخلاقية بسبب البعد عن الإيمان.

٤–بسبب التقصير الشديد في جانب العمل والضعف والتكاسل في جانب التطبيق مما أدى لظهور السلوكيات السيئة.

٥–التصدي لمحاربة–فكر الإرجاء والمرجئة –الذين يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان.

أهمية الموضوع:

١–تكمن أهمية واختيار –هذا الموضوع–في حديثه عن ركنين مهمين من أركان الإيمان ألا وهما: الإيمان بالله، والإيمان بالأنبياء والرسل.

٢–بيان أن الإيمان هو الأساس القويم والركن المتين، لقيام شجرة الأخلاق﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ ﴾{سورة الأعراف: الآية:٥٧}

٣–الاقتداء والتأسي –بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام –في سلوكهم وأخلاقهم والحرص على السير على خطاهم.

منهج البحث:

اعتمدتُ في كتابة هذا البحث على طريقتين مشهورتين وهما: **المنهج الاستقرائي** بتتبع النصوص الواردة من الكتاب والسنة، والمنهج **التحليلي** بدراسة النصوص وتحليلها وبيان وجه الشاهد منها.

خطة البحث:

وتشتمل على ما يلي: مقدمة وتمهيد وفصلان وخاتمة.

•المقدمة: وتشتمل على: أهمية اختيار الموضوع وأسباب اختيار الموضوع ومنهج البحث وخطته

التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخلق وبيان أنواعه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الخلق.

المطلب الثاني: أنواع الخلق.

المبحث الثاني: مفهوم الإيمان وبيان التلازم بين القول والعمل وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإيمان.

المطلب الثاني: التلازم ما بين القول والعمل.

المبحث الثالث: التعريف بنبي الله يوسف –عليه الصلاة والسلام–وبيان مكانة الأنبياء–عليهم الصلاة والسلام–والتأسي بأخلاقهم –وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بنبي الله (يوسف)–عليه الصلاة والسلام–

المطلب الثاني: مكانة الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–والتأسي بأخلاقهم.

الفصل الأول: أثر الإيمان في حياة –الأفراد والمجتمعات–وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر الإيمان في حياة الأفراد.

المبحث الثاني: أثر الإيمان في حياة المجتمعات.

الفصل الثاني: أثر إيمان نبي الله (يوسف–عليه الصلاة والسلام) على أخلاقه.

وفيه أحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: أثر الإيمان على–عفته –عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: أثر الإيمان على – صبره –عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: أثر الإيمان على – صفحه –عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: أثر الإيمان على–وفائه–عليه الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: أثر الإيمان على–كرمه–عليه الصلاة والسلام.

المبحث السادس: أثر الإيمان على–صدقه –عليه الصلاة والسلام.

المبحث السابع: أثر الإيمان على –أمانته–عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثامن: أثر الإيمان على حكمته–عليه الصلاة والسلام–.

المبحث التاسع: أثر الإيمان على بره للوالدين–عليه الصلاة والسلام–.

المبحث العاشر: أثر الإيمان على إخلاصه–عليه الصلاة والسلام–.
المبحث الحادي عشر: أثر الإيمان على إحسانه–عليه الصلاة والسلام–.
الخاتمة.
فهرس المراجع.

هذا وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم –التوفيق والسداد والرشاد وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، والإخلاص والفقه في دينه، إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخُلق وبيان أنواعه.
المبحث الثاني: مفهوم الإيمان وبيان التلازم بين القول والعمل.
المبحث الثالث: التعريف بنبي الله ـيوسف عليه الصلاة والسلام ـوبيان مكانة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام ـ والتأسي بأخلاقهم.

******

المبحث الأول: تعريف الخُلق، وبيان أنواعه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الخلق.

الخُلق لغةً: "الخُلق: بالضمِّ، وبضمتين: السجية والطَّبع، والمروءة والدين" (١)
"الخُلُق، بضم الخاء واللام، ويقال: خُلْق، بضم الخاء وسكون اللام. والخُلق: اسم لسجية الإنسان، وطبيعته التي خُلق عليها، ويطلق على الدِّين والمروءة. ويقال: فلان يتخلق بغير خُلقِه أي: يتكلفه" (٢)
"الخُلُق: الخليقة؛ أعني: الطبيعة، وفي التنزيل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ {سورة القلم :الآية ٤:} والجمع: أخلاق، لا يكسر على غير ذلك والخُلْق والخُلُق: السَّجيَّة – يقال: خالص المؤمن وخالِق الفاجر، وفي الحديث: "ليس في الميزان أثقل من حسن الخلق(٣)"والخُلُق: بضم اللام وسكونها، وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة؛ ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخُلق في غير موضع" (٤)

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/٧٩٣)
(٢) انظر الصحاح للجوهري (٤/١٤٧١)
(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (البر والصلة) باب (ما جاء في حسن الخلق)٤/٣٦٣ حديث رقم :(٢٠٠٢) بلفظ "ما من شيء أثقل في الميزان. "وأبي داو د في كتاب (الأدب)باب(حسن الخلق)٢/٣٨٩حديث رقم:(٤٧٩٩) وصححه الشيخ الألباني رقم :(٨٧٦).
(٤) لسان العرب لابن منظور (١٠/ ٨٦– ٨٧).

الخُلق اصطلاحاً: بعد التتبع والاستقراء تبين لي أن الخلق إذا أطلق فإن له تفسيرين تفسير **عام وخاص.**

فمن أهل العلم من عرَّف الخُلق **بالتفسير العام** فقال:" عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سُمِّيت الهيئة: خُلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سُمّيت الهيئة: خلقًا سيئًا، "(٥)

وجاء في التحرير والتنوير "والخُلُق في اصطلاح الحكماء: ملكة؛ أي: كيفية راسخة في النفس؛ أي: متمكِّنة في الفِكر، تصدر بها عن النفس أفعال صاحبها بدون تأمُّل" (١)

والذي نستخلصه من هذين التعريفين ما يلي:

١-أن الخُلق صفة تمثل الجانب النفسي.

٢-أنها راسخة ثابتة أصيلة غير طارئة.

٣-أن الأفعال التي تصدر عنها بسهولة ويُسر من غير تعنت ولا تكلف.

٤-أن الأفعال التي تصدر عنها من غير فكرٍ ولا رويةٍ ولا ترددٍ.

ومن **التفسير الخاص** لكلمة الخُلق: قال ابن رَسْلان: "الخُلق عبارة عن أوصاف الإنسان التي يعامِل بها غيره" (٢) أي: التخلق بأخلاق الشرع، والتأدب بآدابه، والالتزام بشرعه.

المطلب الثاني: أنواع الخلق. :

يمكن تقسيم الأخلاق إلى ثلاثة أقسام وذلك بعدة اعتبارات:

أولاً: باعتبار تعلقها بالذات ثانياً: باعتبار أنواعها. ثالثاً: باعتبار علاقتها.

أولاً: تنقسم الأخلاق باعتبار تعلقها بالذات إلى: غَريزية جبليَّة طُبِع عَلَيْهَا، **ومُكتسبة** اكتسبها المرء وتطبَّع بها.

أ -أخلاق غريزية جبليَّة طبيعية طُبع عليها المرء: كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشجّ عبد القيس –رضي الله عنه-: (٣) "إن فيك لخُلقين يحبهما الله: الحُلم والأناة "، قال: يا رسول الله، أهما خُلقان تخلقتُ بهما أم جبلني الله عليهما ؟، قال:" بل جبلك الله

(٥) التعريفات للجرجاني (١٠١/١).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧٢/١٩).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داوود (٣٤٣/١٢).

(٣) المنذر بن الحارث أو المنذر بن عمرو يقال له الأشج عبد القيس العبدي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر أو سنة ثمان للهجرة، توفي سنة٤٢هـ.يُنظر في ترجمته: الإصابة (٨٢٣٦).

عليهما " فقال: (الحمد لله الذي جبلني على خُلقين يحبهما الله ورسوله)[١] قال ابن القيَم : [٢] " فدل على أن من الخلق ما هو طبيعة وجبِلّة، وما هو مكتسب "[٣]

ب –أخلاق مُكتسبة اكتسبها المرء وتطبَّع بها: كما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . [٤] "أن أناسًا من الأنصار سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فلم يسأله أحد منهم إلا أعطاه حتى نفد ما عنده، فقال لهم حين نفد كلُّ شيء أَنفق بيديه: " ما يكن عندي من خيرٍ لا أَدَّخِره عنكم، وإنه من يستعف يُعِفّه الله، ومن يتصبر يُصَبِّرْه الله، ومَن يستغن يُغنه الله، ولن تُعطوا عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر". [٥] قال ابن القيِّم: " فإن قلت: هل يمكن أن يقع الخُلق كسبيًا أو هو أمر خارج عن الكسب؟ قلت: يمكن أن يقع كسبيًا بالتخلق والتكلف، حتى يصير له سجيَّةً وملكةً" [٦]

٢–ثانياً: باعتبار أنواعها: إلى: أخلاق حسنة، وأخلاق سيِّئة:

أ–**الأخلاق الحسنة:** هي كل خُلق جميل، وينتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلاً وشرعاً.

ب**الأخلاق السيئة:** هي كل خُلق قبيح، وينتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلاً وشرعاً.

٣–ثالثاً: تنقسم الأخلاق من حيث علاقتها بالغير إلى قسمين: خلق مع الله، وخلق مع عباد الله، ومن الأدلة الدالة على هذا التقسيم حديث –أبي ذر رضي الله عنه –[٧]قال: قال

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩/٤٩٠) وقال في مجمع الزوائد :ورجاله رجال الصحيح (٩/٣٨٧).

(٢) (أبوعبد الله) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي المعروف (بابن قيم الجوزية) **العلامة الكبير** الفقيه الأصولي المحدِّث ولد سنة ٦٩١هـ تلميذ شيخ الإسلام ابن تيميَّة وتوفي سنة ٧٥١هـ. : البدر **الطالع (٢/١٤٣)** معجم المؤلفين(٩/١٠٦).

(٣) مدارج السالكين (٣/٣١٥).

(٤) (أبو سعيد) سعد بن مالك بن سنان الخدري بايع تحت الشجرة **ومن أهل الصفة، وفقهائهم** توفي سنة ٧٤هـ. يُنظر في ترجمته: **الإصابة (٢/٣٥)** الخلاصة للخزرجي ص١٣٥

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقاق) باب (الصبر عن محارم الله) **(٧/١٨٣) حديث رقم (٦٤٧٠)**،وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الزكاة)باب (فضل التعفف والصبر) (٢/٧٢٩)حديث رقم: (١٠٥٣).

(٦) مدارج السالكين (٣/٣١٥).

(٧) (أبو ذر) جندب بن جنادة الغفاري صحابي جليل من السابقين للإسلام كان رأسا في العلم والعمل والزهد توفي بالربذة سنة ٣٢هـ. الطبقات الكبرى:(٧/٥١٠) ، وتهذيب التهذيب (٥/٢٧٩)

لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بُخلقٍ حسن ". (٨)

قال الحافظ ابن رجب: (١)" فهذه الوصية وصية عظيمة جامعة لحقوق الله، وحقوق عباده". (٢)

قال ابن القيِّم:" حسن الخُلق قسمان: أحدهما: مع الله عز وجل وهو أن تعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذرًا، وكل ما يأتي من الله يوجب شكرًا، فلا تزال شاكرًا له معتذرًا إليه سائرًا إليه، بين مُطالعةِ مِنَّتِه وشهود عيب نفسك وأعمالك، والقسم الثاني: حسن الخلق مع الناس، وجماعه أمران: بذل المعروف قولا وفعلاً، وكف الأذى قولاً وفعلاً". (٣)

المبحث الثاني: مفهوم الإيمان وبيان التلازم بين القول والعمل وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإيمان.

الإيمان لغةً: "مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، وهو من الأمن ضد الخوف، وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف وقد ذكر الأزهري(٤) اتفاق جماهير أهل العلم واللغويين على أن الإيمان معناه التصديق" (٥) ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍۢ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾{سورة يوسف: الآية: ١٧} أي: بمُصدِّقٍ.

---

(٨) وأخرجه الترمذي كتاب (البر والصلة) باب (ما جاء في معاشرة الناس)(٣٥٥/٤)حديث رقم (١٩٨٧) وقال الترمذي :هذا حديث حسن صحيح وأحمد في مسنده(١٥٣/٥) رقم(٢١٣٩٢)وحسنه الشيخ الألباني في المشكاة رقم: (٥٠٨٣).

(١) (أبو الفرج) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الحافظ المحدِّث الفقيه الزاهد القدوة ولد ببغداد سنة ٧٢٦هـ صاحب التصانيف الكثيرة وتوفي بدمشق سنة ٧٩٥هـ يُنظر في ترجمته : شذرات الذهب (٣٣٩/٦)، معجم المؤلفين (١١٨/٥).

(٢) جامع العلوم والحكم ص٤٦٩.

(٣) تهذيب السنن لابن القيِّم (١٧١/٧)

(٤) (أبو منصور)محمد بن أحمد بن الأزهر كان رأسا في الفقه واللغة ثبتاً ديناً ولد سنة ٢٨٢هـ وتوفي بهراة سنة ٣٧٠هـ.يُنظرفي ترجمته : ٧٢٨هـ يُنظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء (٣١٦/١٦)، معجم المؤلفين (٨/ ٢٣٠).

(٥) تهذيب اللغة :للأزهري (٥١٣/١٥) و انظر : الصحاح للجوهري (٢٠٧١/٥) والقاموس المحيط للفيروز آبادي (١٥١٨/١) المفردات في ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني(١/ ٩١).

قال شيخ الإسلام: [٦] (فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد) [٧] وخالف شيخ الإسلام حكاية الاجماع عند اللغويين في تعريفهم للإيمان بالتصديق فعرَّف الإيمان بأنه الإقرار القلبي فقال رحمه الله .: (ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد) [٨]

وأبطل دعوى الترادف بين لفظي الإيمان والتصديق. وذلك من أوجه عديدة من ذلك:

١-أن الصدق يتعدى بنفسه إلى المصدق فيقال صدقته بخلاف الإيمان، "فلا يقال: آمنته إلا من الأمان الذي هو ضد الإخافة بل آمنت له" [١]

٢-"أن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابَلْ بالتكذيب كلفظ التصديق، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر" [٢]

٣-أن لفظَ الإيمان ليس مُرادفاً للفظ التصديق في المعنى، فإن لفظ التصديق يستعمل في كل خبر سواء كان مشاهد أو غيب وأما لفظ الإيمان "فلا يُستعملُ إلا في الخبر عن الأمور الغائبة، فيقال للمخبر آمنا له، وللمخبر به: آمنا به [٤]

٤-"أن الإيمان في اللغة: مشتق من الأمن" الذي هو ضد الخوف، فهو متضمن مع التصديق معنى الائتمان أو الأمانة كما يدل عليه الاشتقاق، أما التصديق لا يدل على هذه المعاني [٥]

والخُلاصة:

أن الإيمان لغة هو الإقرار القلبي لا التصديق المجرد لأن الإقرار يتضمن التصديق وزيادة عليه من الأعمال القلبية كالثقة والاطمئنان للمُخبر "وهذا الإقرار القلبي والطمأنينة لا تحصل للعبد إلا إذا استقر في القلب التصديق والانقياد" [٦]

---

(٦) تقدمت ترجمته ص٤.
(٧) الصارم المسلول (١/ ٥١٩).
(٨) مجموع الفتاوى (٦٣٨/٧).
(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧ /٥٢٩) .
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩١/٧).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٧ /٥٢٩).
(٥) انظر: : مجموع الفتاوى (٢٧١/٧).
(٦) انظر: الصارم المسلول (٥١٩/١).

تعريف الإيمان شرعاً:

فإن حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة أنها مُركبة من الأقوال والأعمال والاعتقادات، وقد جاء بيان ذلك عن غير واحدٍ من السلف في ذكر حدِّ الإيمان الشرعي أنه اعتقاد وقول وعمل من ذلك:

قول الإمام ابن أبي زيد القيرواني –رحمه الله – [١] "أن الإيمان قولٌ باللسان، وإخلاصٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح."[٢]

قول الإمام الحافظ ابن مَندة رحمه الله – [٣] "الإيمان قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالأركان."[٤]

وقول الإمام الحافظ ابن أبي زمنِين رحمه الله [٥]"ومن أقوال أهل السنة: أن الإيمان إخلاصٌ لله بالقلوب، وشهادةٌ بالألسنة، وعملٌ بالجوارح."[٦]

وقول الإمام ابن قُدامة المقدسي رحمه الله [٧]"الإيمان: قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، وعقدٌ بالجنان."[٨]

---

(١) (أبو محمد) عبد الله بن أبي زيد الإمام العلامة القُدوة عالم أهل المغرب من كبار فقهاء المالكية كان واسع العلم، كثير الحفظ والرواية توفي سنة ٣٨٦ هـ يُنظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٧/١) شذرات الذهب (١٣١/٣).

(٢) مقدمة ابن أبي زيد ص١٣.

(٣) (أبو عبد الله) محمد بن إسحاق بن محمد بن مندة الإمام الحافظ المحدِّث ولد سنة ٣١٠هـ وكان صاحب سنة وخلق وسخاء، وتوفي سنة ٣٩٥هـ يُنظر في ترجمته: ميزان الاعتدال (٤٧٩/٣)، البداية والنهاية (٣٣٦/١١).

(٤) الإيمان لابن مندة (٤٣/١).

(٥) (أبو عبد الله) محمد بن عبد الله بن عيسى الأندلسي المشهور (بابن أبي زمنين) الإمام الزاهد كان مجانبا للرأي، صاحب إخلاص، من كبار المحدِّثين توفي سنة ٣٩٩هـ يُنظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٨٨/١٧) الأعلام (٢٢٧/٦).

(٦) أصول السنة لابن زمنين ص٢٠٧.

(٧) (أبو محمد) مُوفَّق الدين ابن قدامة المقدسي الشيخ الإمام العلامة شيخ الحنابلة وكان ثقةً حجةً نبيلاً مشهوراً بالزهد والورع توفي سنة ٦٢٠هـ يُنظر في ترجمته: ، سير أعلام النبلاء (١٦٦/٢٢)، شذرات الذهب (١٥٥/٧)

(٨) لمعة الاعتقاد ص٢٦.

ومن أجمع التعريفات التي وقفتُ عليها تعريف –شيخ الإسلام ابن تيميَة: [٩]" ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح".[١٠]

فهذا التعريف اشتمل على خمسة أمور ألا وهي: قول القلب، واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح **فقول القلب**: هو اعتقاده وإقراره، وقول **اللسان**: هو النطق بكلمة التوحيد، وعمل **القلب** نيته محبته التوكل عليه، وعمل **اللسان**: حركته بالذكر والتلاوة، وعمل **الجوارح**: حركته بالجوارح كالسجود والركوع فدخل في هذا "جميع الطاعات الباطنة والظاهرة".[١١]

المطلب الثاني: التلازم ما بين القول والعمل. غير خافٍ على أهل الإيمان أن الدين قول وعمل كما قال حافظ الحكمي رحمه الله–: [١]

اعلم بأن الدين قول وعمل فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل. [٢]

وأن ثمتَ تلازم بين الأقوال الظاهرة وأعمال القلوب الباطنة، وهذا هو المتقرَر عند أهل السنة والجماعة كما قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة–رحمه الله–:"والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه" [٣] فالأقوال والأعمال قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولا يتصور وجود أحدهما دون الآخر، وهذا هو مذهب السلف قاطبةً

(٩) تقدمت ترجمته ص٤.
(١٠) العقيدة الواسطية /ص٩
(١١) كتاب الحُجَّة في بيان المحجَّة للأصبهاني (٤٣٧/١)
(١) حافظ بن أحمد الحكمي ولد سنة ١٣٤٢هـ طلب العلم منذ صغره وكان زاهداً ورعاً توفي سنة ١٣٧٧هـ يُنظر في ترجمته: كتاب (الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده) لزيد المدخلي –رحمه الله– من (١–٢٥).
(٢) سلم الوصول إلى علم الأصول ص٤٥.
(٣) مجموع الفتاوى (٢٢١/٧).

.قال ابن عبد البر رحمه الله –: [٤] "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل؛ ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان". [٥]

وقال الإمام البغوي رحمه الله: – [٦] "اتفقت الصحابة والتابعين فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، وقالوا إن الإيمان قول وعمل وعقيدة؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية ". [٧]

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله-[٨]"وأكثر العلماء قالوا: هو قول وعمل. وهذا كله إجماع من السلف وعلماء أهل الحديث. وقد حكى الشافعي إجماع الصحابة والتابعين عليه وحكى أبو ثور الإجماع عليه أيضا". [٩]

وقد تنوعت عبارات سلف هذه الأمة لتقرير هذه الأصل العظيم في كتاباتهم بأحكم العبارات، وأدق الكلمات، وأوجز التقعيدات تارة:

١–بتقريرهم لوجوب التلازم بين القول والعمل:

قال سفيان بن عُيينة: [١] " الإيمان قول وعمل ولا يكون قول إلا بعمل".[٢]

---

(٤) (أبو عمر) يوسف بن عبد الله النمري المشهور (بابن عبد البر) الامام الفقيه المالكي المؤرخ الأندلسي ولد سنة ٣٦٨هـ كان فقيهاً عابداً مجتهداً وتوفي سنة ٤٦٣هـ.يُنظرفي ترجمته: وفيات الأعيان (٦٦/٧)، سير أعلام النبلاء (٨٥/١٨).

(٥) التمهيد (٢٣٨/٩).

(٦) (أبو محمد) الحسين بن مسعود الفراء البغوي الملقب ب (مُحيي السنة) الإمام المحقق كان فقيهاً زاهداً يعتبر عالم أهل خراسان توفي سنة ٥١٦هـ يُنظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩)، شذرات الذهب (٤٨/٤).

(٧) شرح السنة (٣٨/١-٣٩).

(٨) تقدمت ترجمته ص١٣.

(٩) فتح الباري لابن رجب (٥/١).

(١) (أبو محمد) سفيان بن عُيينة الهلالي الكوفي، ثم المكي الإمام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام ولد بالكوفة ١٠٧هـ كان صاحب سنة واتباع توفي سنة ١٩٨هـ يُنظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء"(١٥ / ٤٧٨)، "تهذيب التهذيب"(٤ /١٠٥)

(٢) الشريعة (٦٠٤/٢)

٢-بنفي قَبول الأقوال بلا أعمال والأعمال بدون أقوال:

قال ابن بطَّة:[٣] "وإن الله لا يقبل قولاً الا بعمل، ولا عملاً إلا بقول ".[٤]

٣-بنفي صحة الإيمان بلا عمل:

قال الامام الآجُرِّي-رحمه الله- [٥]" لا يصح الدين إلا بالتصديق بالقلب والاقرار باللسان، والعمل بالجوارح." [٦]

٤-بنفي الاستقامة والنفع والصلاح للإيمان:

قال الإمام الأوزاعي-رحمه الله-: [٧]" لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بموافقة للسنة " [٨]

وعن الزهري -رحمه الله-: [١]" والإيمان قولٌ وعملٌ قرينان لا ينفع أحدهما إلا بالآخر" [٢]

(٣) (أبو عبد الله) عبيد الله بن محمد المشهور (بابن بطة العكبري) الإمام المصنف الحنبلي ولد سنة ٣٠٤هـ وكان صالحاً زاهداً مستجاب الدعوة توفي سنة ٣٨٧هـ يُنظر في ترجمته: تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٠-) طبقات الحنابلة (٢ /١٥٢)، سير أعلام النبلاء (١٦ /٥٢٩)

(٤) الإبانة (٢/ ٧٩٥)

(٥) (أبو بكر) محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُري هو الإمام المحدِّث الكبير شيخ الحرم الشريف كان صدوقاً خيرا عابدا صاحب سنة وإتباع توفي سنة ٣٦٠هـ. يُنظر في ترجمته: تاريخ بغداد (٢/٢٤٣) وفيات الأعيان (٤/٢٩٢)،

(٦) الشريعة (٢/٥٦٣).

(٧) (أبو عمرو) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي عالم أهل الشام ولد سنة ٨٨هوكان رحمه زاهداً ورعاً تقيا قليل الكلام كثير البكاء وتوفي سنة ١٥٧هـ يُنظر في ترجمته: وفيات الأعيان (٣/١٢٧)، البداية والنهاية (٦ /١١٨).

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/٨٨٦).

(١) (أبو بكر) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي المدني الإمام العالم الحافظ ولد سنة ٥٠هـ وتوفي سنة ١٢٤هـ يُنظر في ترجمته: طبقات ابن سعد:(٩ / ١٦٥)، وسير أعلام النبلاء:(٥ / ٣٢٦).

(٢) الإيمان لابن تيميَّة ص٢٣١.

٥-وتارة بعدم إجزاء الإيمان إلا بالعمل

قال الآجُرِّي -رحمه الله-:[٣] "الإيمان معرفة بالقلب تصديقا يقينا، وقول باللسان وعمل بالجوارح لا يكون مؤمناً إلا بهذه الثلاثة، لا يجزئ بعضها عن بعض"[٤].

فهذه الآثار من هؤلاء الأئمة الأجِلاَّء تدل على تقريرهم لهذا الأصل العظيم وأن الإيمان مُركَّب من القول والعمل.

المبحث الثالث: التعريف بنبي الله يوسف -عليه الصلاة والسلام-وبيان مكانة الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-والتأسي بأخلاقهم -وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بنبي الله (يوسف)- عليه الصلاة والسلام-

"يوسف: بضم السين وكسرها وفتحها مع الهمز وتركه، فهي ستة أوجه" [١]

يوسف عليه الصلاة والسلام هو:" النبي الكريم الذي تناسل من ثلاثة أنبياء، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم " [٢] يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم" [٣]

المطلب الثاني: مكانة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام - والتأسي بأخلاقهم.

لا شك أن الأنبياء _عليهم الصلاة والسلام- لهم مكانة عظيمة، ومنزلة سامية في الإسلام فهم صفوة الخلق الأخيار ،وأتم الخلق عبودية لله الواحد القهار، ،البررة الأطهار ،يهدون بأمر الله العزيز الجبار ،وهم حملة وحيه، ومبلغوا شرعه، ،وحجة الله على خلقه ،ودعاة الخلق إلى عبادته وتوحيده، بلغوا الرسالة ،وأدوا الأمانة وأقاموا الحجة ، ونصحوا الأمة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، فهم أعلام الهدى ،وأئمة التقى، اصطفاهم الله على علمه ، وربَاهم على عينه

---

(٣) تقدمت ترجمته ص١٧.

(٤) الشريعة (٦٨٦/٢).

(١) شرح صحيح مسلم (١٣٤/١٣).

(٢) وأصل هذا ما جاء في (البخاري) كتاب (الأنبياء) باب (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) (١٥١/٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما--عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «الكريم ابن الكرِيمِ ابن الكرِيمِ ابنِ الكرِيمِ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بنِ إبراهيم » عليهم صلوات ربي وسلامه عليهم -وهذه الرواية هي الأصل وقد وردت رواية أخرى في صحيح مسلم لكنها مختصرة "نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله".

(٣)) تاريخ الأنبياء لمحمد النجار ص١٢٥.

،وجعلهم للناس أئمة وقدوة ، وفضَّلهم على العالمين، فخصَّهم بحمل النبوة والرسالة كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ {سورة الحج الآية :٧٥}وفي هذا يقول ابن القيِّم –رحمه الله–: "ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه، وجعلهم أمناء على رسالته، وواسطة بينه وبين عباده، وخصَّهم بأنواع كراماته فمنهم من اتخذه خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، ومنهم من رفعه مكاناً عليًّا على سائرهم درجات، ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلا من طريقهم، ولا دخولاً إلى جنته إلا خلفهم، ولم يكرم أحداً منهم بكرامة إلا على أيديهم، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة، وأرفعهم عنده درجة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم، وبهم عرف الله، وبهم عبد وأطيع، وبهم حصلت محابه تعالى في الأرض" [(١)].ولأجل هذه المكانة العظيمة، والمنزلة العالية والرفيعة **سمّى الله عز وجل الرسالة روحاً**: قال تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾{سورة الشورى الآية :٤٢}فحاجة العباد إلى حياة الروح وصلاحه ونوره أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب والهواء والدواء لأن "الرسالة روح العالم ونوره وحياته فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ [(٢)]وجعل الإيمان بالرسل **أصلاً من أصول الإيمان**: قال تعالى:﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾{سورة آل عمران: الآية: ٨٤}.ومن **كفر بهم فقد ضل ضلالًا بعيداً**: قال تعالى﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً ﴾{سورة النساء: الآية: ١٣٦} وبيَن الله أن **الكفر برسول واحد معناه كفر بالجميع**: قال تعالى:(كَذّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾{سورة الشعراء: الآية:١٠٥} وقال تعالى﴿ كَذّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾{سورة الشعراء: الآية ١٢٣}، وذلك لأن الرسل دينهم واحد ورسالتهم واحدة. وقد **أمرنا الله بالإيمان بهم جميعاً وعدم التفريق بينهم**: قال تعالى:﴿ قُولُوٓاْ آمَنّا بِاللّهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىَ وَعِيسَىَ وَمَا أُوتِيَ النّبِيّونَ مِن رّبّهِمْ لاَ نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾{سورة البقرة: الآية: ١٣٦}**ووعد الذين لم يفرقوا بين الرسل بالأجر العظيم**، والثواب الجزيل فقال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾{سورة النساء: الآية: ١٥٢}.**وبيَن الله جزاء من**

(١) طريق الهجرتين /ص٣٥٠.
(٢) مجموع الفتاوى (١٩/٩٣).

سار على هذا النهج هو التوفيق للهداية: فقال تعالى:(فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾{سورة البقرة: الآية: ١٣٧}.**وجعل جزاء من تنكّب هذا الطريق الضلال والشقاق والغواية:** فقال تعالى:﴿ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾{سورة البقرة: الآية: ١٣٧} ولما كانت هذه مكانتهم ومنزلتهم ومقامهم عند الله أمرنا الله باتباعهم، والاقتداء بهم، والسير على خطاهم ونهجهم قال تعالى﴿ أولئك الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۖ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذكرى لِلْعَالَمِينَ ﴾{سورة الأنعام: الآية ٩٠:}

قال ابن جرير ـرحمه الله–[١] "يقول تعالى ذكره: " أولئك "، هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفَّقهم جل ثناؤه لذلك =﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۖ ﴾، يقول تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم اقتدِهْ "، يا محمد، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضًا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى" [١]والأمر في الآية الكريمة للرسول صلى الله عليه وسلم وأمته تبعا له فيما يشرع لهم ويأمرهم به" [٢] فيجب علينا جميعا ـمعشر المؤمنين والمؤمنات ـتوقيرهم وتعظيمهم والاقتداء بهم والتأسي بجميل أفعالهم وأقوالهم، وبمكارم أخلاقهم والاهتداء بهديهم والتمسك بسنتهم واتباعهم فيما جاؤا به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " حقوق الأنبياء في تعزيرهم وتوقيرهم ومحبتهم محبة مقدمة على محبة النفوس والمال والأهل، وإيثار طاعتهم ومتابعة سننهم ونحو ذلك " [٣] وهذا من حقوقهم لأن الله جعلهم أئمة يهتدى بهم كما قال قتادة ـرحمه الله– [٤] في قوله

(١) (أبو جعفر) مُحمد بن جرير بن يزيد الطبري الامام المفسر المقرئ صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة ولد سنة ٢٢٤هـ بطبرستان وكان ذا زهد وقناعة وتوفي سنة ٣١٠ هـ يُنظر في ترجمته: شذرات الذهب (٥٣/٤) معجم المؤلفين (١٤٦/٩).

(١) جامع البيان (٥١٨/١١).

(٢) تفسير ابن كثير(٢٩٩/٣).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١٩٤/٢).

(٤) (أبو الخطاب البصري) قتادة بن دعامة السدوسي قُدوة المفسرين تابعي جليل، كان من أوعية العلم، توفي سنة ١١٧هـ يُنظر في ترجمته: الطبقات الكبرى (٧ـ/ ٢٣١/٢٢٩)، الخلاصة للخزرجي ص ٣١٥.

تعالى ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ ﴾ جعلهم الله أئمة يقتدى بهم في أمر الله" (٥)

وأخيراً: هذا غيضٌ من فيضٍ مما ورد –في مكانتهم وعلو شأنهم وجلالة مقامهم–مما أوجب علينا الاقتداء والتأسي بهم.

(٥) جامع البيان (٤٧٢/١٨).

الفصل الأول: أثر الإيمان في حياة الأفراد والمجتمعات وفيه مبحثان:
المبحث الأول: أثر الإيمان في حياة الأفراد.
المبحث الثاني: أثر الإيمان في حياة المجتمعات.

****

المبحث الأول: أثر الإيمان في حياة الأفراد:

لا شك أن القلب هو الأساس، وهو ملك الأعضاء وأشرفها على الاطلاق، بل هو موضع الإيمان والمعرفة، وآنية العلم والتوحيد، ومركز الاعتقادات، ومحل العزائم والإرادات، ومصدر السلوك والتوجيهات، ومنبع الشرور والخيرات، فبصلاحه يصلح العمل، وبفساده يفسد. "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر العمل وإذا فسدت فسد العمل ألا وهي القلب".[1] والقلب الذي يؤثر فيه الإيمان ليس أي قلب إنما هو القلب الحي السليم، الذي عُمر بالعلم والإيمان والتوحيد، وسلم من المعارضات كالشبهات والشهوات قلبٌ من أبرز صفاته اللين والطهارة والإنابة، والقلب الليِّن ينتفع بالمواعظ ،طاهر من الأدران، مطمئن منشرح الصدر ،مستأنس بالله ،منيب تائب إلى ربه ومولاه، فهذ الذي ينتفع بنور الهداية ،فإذا قذف الله في قلبه هذا النور تحركت على إثره الجوارح، وبحسب قوة هذا النور وضعفه تظهر المحاسن والمساوي لأن كل إناء بما فيه ينضح ، فاذا استقر الإيمان في قلب العبد، وخالط بشاشته، وامتلأ قلبه بأنوار المعارف والمحبة والإخلاص، ومشاهدة آثار الجلال والجمال والكمال ،انبعث أثر ذلك على الجوارح فانقادت للأوامر والنواهي ،وأقبلت لعبادة ربها ومولاها وسيدها ،وسارعت إليه قولاً وعملاً وأثمرت كل خير –بإذن ربها– من الخلال الحميدة، والصفات النبيلة ،والأخلاق الجليلة، ومن هذه الآثار:

١ –حلول **الهداية في قلبه: كما** قال تعالى: "وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ"{سورة التغابن: الآية :١١}

قال عَلقمة [2] "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلِّم" [3]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الإيمان،) باب (فضل من استبرأ لدينه (١/ ٢٨) حديث رقم :(٥٢)، ومسلم في كتاب (المساقاة،) باب (أخذ الحلال وترك الشبهات) (٣/ ١٢١٩) حديث رقم :(١٥٩٩).

(٢) (أبو شبل) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الإمام الحافظ المجتهد الكبير فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها ونزل الكوفة ولازم ابن مسعود توفي سنة ٢٠١هـ يُنظر في ترجمته: حلية الأولياء (٢/٢٤٧) سير أعلام النبلاء (٤/٥٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٥/١٠٥).

(٣) جامع البيان:(٢٣/٤٢١).

وقال ابن عباس –[1] رضي الله عنهما "يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه " [2] وقال أبو عثمان الحِيرِي: [3] "من صحَّ إيمانه، يهد الله قلبه لاتباع السنة " [4]

وقال تعالى:﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾{سورة الحج: الآية: ٥٤} وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ } {سورة يونس: الآية :٩} يهديهم المولى صراطه المستقيم، ويوفقهم لهديه القويم، والعمل بدينه المتين.

٢-**انشراح الصدر: كما** قال تعالى﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[سورة الزمر: الآية: ٢٢]. كما قال ابن القيِّم "ومنها نور الإيمان الذي يقذفه الله في قلب العبد فيشرح الصدر ويوسعه" [5] فإذا أراد المولى هداية عبده المؤمن شرح صدره ووسَّعه، واتسع لقبول الحق، ووفق لاستفراغ جهده في محاب الله ومراضيه، والبعد عن مساخطه ومناهيه.

٣--**أنه يحيا حياةً سعيدةً مطمئنةً:** قال تعالى:" مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" {سورة النحل: الآية٩٧}."هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا – وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله – بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ."[6]وقال ابن عاشور [7] "وهذا وعد بخيرات الدنيا ، وأعظمها الرضى بما قسم

(١) (أبو العباس الهاشمي) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب –ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حَبر هذه الأمة وبحرها –ولد قبل الهجرة ب ٣ سنين وهو من فقهاء الصحابة وأحد العبادلة توفي سنة ٦٨هـ بالطائف يُنظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء" (٣ /٣٤٥). تقريب التهذيب ص٥٢٠.

(٢) جامع البيان:(٢٣/ ٤٢١).

(٣) (أبو عثمان) سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري الشيخ الإمام المحدِّث الواعظ القدوة، شيخ الإسلام. ، ولد سنة ٢٣٠ هـ وتوفي سنة ٢٩٨ هـ يُنظر في ترجمته: حلية الأولياء: ١/ ٢٤٤. تاريخ بغداد (٩/ ٩٩).

(٤) تفسير القرطبي (١٣٩/١٨).

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد(٣٤/٢).

(٦) تفسير ابن كثير(٣٩٨/٢).

(٧) هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ولد سنة ١٢٩٦هـ أديب وخطيب ومشارك في علوم الدين، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وتوفي سنة –١٣٩٣ هـ يُنظر في ترجمته: مقدمة التقريب لتفسير التحرير والتنوير" تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد.

لهم ، وحسن أملهم بالعاقبة والصحة والعافية ، وعزة الإسلام في نفوسهم ، وهذا مقام دقيق تتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس ، ويعطي الله فيه عباده المؤمنين على مراتب هممهم وآمالهم ، ومن راقب نفسه رأى شواهد هذا." [(١)]

٤-**ولاية الله للعبد بإخراجه من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة** كما قال تعالى﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ... ﴾{سورة البقرة: الآية :٢٥٧} يقول ابن سعدي –رحمه الله [(٢)] "هذه الآية مترتبة على الآية التي قبلها، فالسابقة هي الأساس، وهذه هي الثمرة، فأخبر تعالى أن الذين آمنوا بالله، وصدقوا إيمانهم بالقيام بواجبات الإيمان وترك كل ما ينافيه، أنه وليهم يتولاهم بولايته الخاصة، ويتولى تربيتهم، فيخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والمعاصي والغفلة والإعراض، إلى نور العلم واليقين والإيمان والطاعة والإقبال الكامل على ربهم، وينور قلوبهم بما يقذفه فيها من نور الوحي والإيمان، وييسرهم لليسرى، ويجنبهم العسرى، ...."[(٣)] ومن ولاية الله لعبده حفظه من الإرادات الباطلة والتصورات الفاسدة: كما قال تعالى﴿ واعلموا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ المرء وَقَلْبِهِ ﴾{سورة الأنفال الآية :٢٧} قال ابن عباس –رضي الله عنهما-"يحول بين الكافر وبين طاعته وبين المؤمن وبين معصيته" [(٤)]فيحفظ العبد من الفتن فيتصور الأشياء على ماهي عليه ويصرفه عن فعل المعصية بأن يلهمه رشده تارة بفسخ عزائمه عن الإقبال لها وتارة بتثبيطه عن فعلها وتارة بصرف همته عنها وتارة بعدم قدرته عليها.

٥-**نزول السكينة عليه:** قال تعالى﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾{سورة الفتح: الآية :٤} فالعبد إذا آمن وصدق مع ربه ومولاه فإن هذا يثمر له سكينة في قلبه عند قلقه وخوفه واضطرابه فمن عرف الله في الرخاء عرفه في الشدة !!وهذه السكينة تتضمن ثلاثة أمور: حياة قلبه، ونوره، وقوتهأما **حياته** ونعيمه وسروره بالإيمان بربه فيجتمع في قلبه نعيمان: نعيم الإيمان بالله ونعيم كمال النعيم وأما **نوره** فيستنير بنور الله فيعرف الحقائق على ماهي عليه ويشاهدها بعين البصيرة فينيب إلى ربه ويفعل الطاعات ويترك المعاصي، وأما **قوته** فيقويه المولى بقوته ويقدره بقدرته وذلك يظهر جلياً في نشاطه

(١) التحرير والتنوير(١٤/٢٧٢).
(٢) (أبو عبد الله) عبد الرحمن بن ناصر السعدي الإمام الجليل ولد سنة ١٣٠٧هـ من كبار علماء أهل نجد كان محباً للخير متواضعاً معلماً داعياً مفتياً توفي سنة ١٣٧٦هـ يُنظر في ترجمته: الأعلام (٣/٣٤٠).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/٩٥٤).
(٤) جامع البيان (١٣/٤٧٠).

وعزمه وهمته، ومجاهدته وضبطه لنفسه. هذه صفاتهم وهذه أحوالهم لكمال معرفتهم بربهم وثقتهم به وهذا هو شأن المؤمنين الخلص. وغير ذلك من الآثار المترتبة على الفرد من جرَّاء إيمانه بالله.

المبحث الثاني: أثر الإيمان في حياة المجتمعات:

أما عن أثر الإيمان على المجتمعات لا شك أن له أثر واضح ويتضح لك في النقاط التالية:

١- **الترابط والتلاحم:** وفي الصحيح قول النبي –صلى الله عليه وسلم –: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر "[(١)]." المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه" [(٢)] فهذا هو حال الإيمان يؤثر في وحدة المجتمع والتئام صفه فكأنهم جسد واحد في السراء أو الضراء وهذا هو غاية المحبة والترابط والتآلف إذا اشتكى منه عضو (تداعى) أَي دعا بعضه بعضا إِلى المشاركة فِي الأَلم "كَالشجَرة إِذا ضرب غصن مِن= أَغصانها اِهتزت الْأَغصان كلها بِالتحركِ والِاضطراب" [(٣)]وهذا هو حال أهل الإيمان مع إخوانهم يرحم بعضهم بعضا ويعطف أحدهم على الآخر والذي دعاهم لهذا وشيجة الإيمان التي في قلوبهم أحدثت لهم هذا الترابط والتلاحم.

٢- **حصول الأمن في الدنيا والآخرة:**﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾{سورة الأنعام الآية :٨٢} قال ابن سعدي "الأمن من المخاوف، والعذاب والشقاء...."[(٤)]

٣- **رحمتهم وصفاء قلوبهم ونقاءها من الغل والحسد:** كما وصفهم الله بقوله: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ }سورة محمد: الآية:٢٩} "هذه صفة المؤمنين أن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب(الأدب) باب (رحمة الناس والبهائم) (٨ /١٠) حديث رقم :(٦٠١١) ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة والآداب) باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) (٤/ ١٩٩٩) حديث رقم:(٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري كتاب (المظالم والغصب) باب (نصر المظلوم)، (٣/ ١٢٩) برقم: (٢٤٤٦)، ومسلم كتاب (البر والصلة والآداب) باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) (٤/ ١٩٩٩) حديث رقم: (٢٥٨٥) .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/٤٤٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (١/٣٦٢).

يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار، رحيماً براً بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن.(٥)

٤- **النصر والتمكين:** وهذه من آثار الإيمان الجلية نصرهم على أعداءهم وغلبتهم لهم.

حيث أخبر–جل وعز–أن نصره للمؤمنين حق عليه لا يتخلف قال تعالى﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾{سورة الروم: الآية :٤٧} ووعد أن من ينصره وينصر دينه سينصره ويثبت أقدامه

فقال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ {سورة الممتحنة:الآية:٧} وأكد نصره للمؤمنين في الدنيا والآخرة إذا قاموا بنصره وقال : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾"{سورة غافر : الآية:٥١} ووعدهم بالتمكين إن أفردوه بالعبادة فقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً .."{سورة النور: الآية :٥٥}

٥-**الاجتماع وعدم الفرقة والاختلاف:** وقد دلّ على هذا الأصل العظيم قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾{سورة آل عمران :الآية:١٠٣} فالمولى يأمرنا أن نعتصم بحبل الله المتين ،والاجتماع على التوحيد والدين القويم ،وهذا الاجتماع له أثر عظيم في مواجهة الفتن والتحديات ،والقضاء على العصبيات ،وإبعاد الشيطان ،واظهار قوة الإسلام وعظمته وتحقيق معاني المحبة والتآلف، لأن الاجتماع رحمة والفرقة عذاب ،وقد نبهنا الله على هذه النعمة العظيمة وذكّرنا بها حتى نحافظ عليها كما قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾" {سورة آل عمران: الآية :١٠٤} حيث غير الإيمان مجرى حياتهم ونقلهم من العداوة والبغضاء إلى التآلف والإخاء وهذا من أعظم آثار الإيمان حيث صاروا به إخواناً .

(٥) تفسير ابن كثير (٤/٢١٨).

كما قال ابن كثير[1]–رحمه الله–"إخواناً متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى، قال الله تعالى﴿ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾{سورة الأنفال: الآية: ٦٢} وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم، فأبعدهم الله منها: أن هداهم للإيمان. وقد امتن عليهم بذلك –رسول الله صلى الله عليه وسلم–يوم قسم غنائم حنين، فعتب من عتب منهم لما فضل عليهم في القسمة بما أراه الله، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟ " كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن " [1][2]

(١) (أبو الفداء) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي المعروف (بابن كثير) الحافظ المؤرخ المفسر الفقيه المحدِّث البارع ولد سنة ٧٠٠هـ ونشأ بدمشق صاحب التصانيف المشهورة وتوفي سنة ٧٧٤هـ يُنظر في ترجمته: «الدّرر الكامنة» (١/ ٣٧٣-٣٧٤) البدر الطالع (١/ ١٥٣) معجم المؤلفين (٢٣٨/٣).

(١) تفسير ابن كثير(٢/٩٠).

(٢) أخرجه البخاري كتاب (المغازي) باب (غزوة الطائف) (١٥٧/٥) حديث رقم:(٤٣٣٠) ومسلم في كتاب(الزكاة)باب (إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام) حديث رقم:(١٠٦١).

الفصل الثاني

أثر إيمان نبي اللّه (يوسف عليه الصلاة والسلام) على أخلاقه.

وفيه أحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: أثر الإيمان على عفته ـ عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: أثر الإيمان على – صبره ـ عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: أثر الإيمان على – صفحه ـ عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: أثر الإيمان على وفائه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: أثر الإيمان على كرمه عليه الصلاة والسلام.

المبحث السادس: أثر الإيمان على صدقه ـ عليه الصلاة والسلام.

المبحث السابع: أثر الإيمان على ـ أمانته عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثامن: أثر الإيمان على حكمته عليه الصلاة والسلام.

المبحث التاسع: أثر الإيمان على بره للوالدين عليه الصلاة والسلام.

المبحث العاشر: أثر الإيمان على إخلاصه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الحادي عشر: أثر الإيمان على إحسانه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الأول: أثر الإيمان على عفته- عليه الصلاة والسلام –

أولاً: بيان معنى العِفَّة لغةً واصطلاحاً:

العِفَّة لغةً: "العِفةُ جمع عفيف وهو الكَفُّ عمَّا لا يَحِلُّ ويجمُلُ، ورجل عَفٌّ وعَفيف، وامرأة عَفَّة: بينة العفاف والعفيفة من النساء السيدة الخيرة وامرأة عفيفة عفة الفرج ونسوة عفائف، وتعَفَّفَ، أي تكلَّف العِفَّة

والاسْتِعْفاف: طلَبُ العَفافِ وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس وقيل: الاستعفاف الصبر والنزاهة عن الشيء "(١)

العفة اصطلاحاً: فقد عرَّفها أهل العلم بعدة تعريفات:

١-"وأما العفة فهي فضيلة الحس الشهواني، وظهور هذه الفضيلة في الانسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأي أعني أن يوافق التمييز الصحيح، حتى لا ينقاد لها فيصير بذلك حراً غير متعبد لشيء من شهواته "(٢)

٢-"بأنها ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة بين إفراط الشره، وتفريط هو جمود الشهوة". (٣)

٣-"العفة: حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة" (٤)

يتبين لنا من خلال هذا التعريف المختصر **أن العفة:** خلق كريم، وقوة في العلم والإرادة تؤدي إلى ضبط سلوك وتصرفات المرء بين شهوتين ورذيلتين هما: الإفراط والانهماك في الفجور والشهوات ،والتفريط والجمود بحرمان النفس من الحاجات الضرورية التي يحتاج إليها البدن وفق شرع الله وبما يتوافق مع العقل.

وعلى هذا فإن خلق العفة قيمة اجتماعية، لا غنى للمجتمع المسلم عنها وتنبثق عنها قيم أخرى كالحياء والصبر والأمانة والوفاء بالعهد فحدها: العفة عن المحارم والمآثم، وأساسها: الاعتقاد الصحيح وبرهانها: الصدق والصبر والحياء وثمرتها: تقوى الله -جل وعلا-.

(١) انظر: العين للخليل الفراهيدي (٩٢/١) مختار الصحاح للرازي (١٤٥/٤) لسان العرب (٢٥٣/٩)،
(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه ص٢٦.
(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصبهاني ص٣١٨.
(٤) المفردات في ألفاظ القرآن (٥٧٣/١)

ثانياً: من مظاهر عفته –عليه الصلاة والسلام–التي نتجت عن قوة–إيمانه بالله–والتي هي من آثارها:

١–يُحدثُنا القرآن الكريم عن عفَّة نبي الله–يوسف عليه الصلاة والسلام–وهو في بيت العزيز بعد أن بيع وآل أمره إلى الاسترقاق.

- قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ {سورة يوسف :٢٣-٢٧}
- وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ {سورة يوسف :٣٠-٣٣}

قال ابن عاشور–رحمه الله–:(١) "وقد تعرضت الآيات لتقرير ثبات يوسف –عليه السلام– على العفاف والوفاء وكرم الخلق" (٢) حيث دلَّت القصة التي حصلت له مع (امرأة العزيز) على كمال عفته، ونزاهته، وضبط نفسه عن الشهوات رغم تعرضه لإغراءات كثيرة **من تلكم الإغراءات:**

أ–في قوله " ﴿ ورَاوَدَتْهُ ﴾ ابتدرته بالمراودة "وهي الطلب برفق ولين " (٣) وكانت ذات منصب وجمال.

---

(١) تقدمت ترجمته ص٢٣.
(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٩).
(٣) تفسير القرطبي(١٦٢/٩).

ب–في قوله "﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾أنه كان في بيتها تراه يومياً وفي كل وقت ٍليس بينها وبينه حجاب وهذا ادعى للألفة والاستجابة لما طلبت لكنه قال: " مَعَاذَ اللَّهِ ".

ج–في قوله "﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾حيث ابتدأت المراودة بقولها، ثم اتبعت ذلك بفعلها، حيث أحكمت غلق الباب وذلك زيادة في الحرص والتأكيد، وخشية أن يراها أحد، فجمعت بين القول والفعل حتى تعطيه الموثق والأمان وضمان الخلوة.

د–(وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ ﴾"هلم وأقبل وتعال" [٤] أي: بادر وكأنها تسلمه نفسها.

هـ–في قوله "﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ ﴾وذلك من قوة رغبتها حتى شقته من الخلف، وفي هذا كناية عن شدة الرغبة.

و–في قوله﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾حيث عرضته على نسوة أخر حتى قلن: "﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ حاشا لله ﴾فلم تكتف بنفسها وإنما عرضته لفتنة جمع من النساء. وهذا زيادة في الفتنة والبلاء والإغراء.

فهذه دلائل عظيمة تدل على عفته عن الوقوع فيما حرم الله رغم أن الظروف كانت مُهيَّئة له **وعوامل الإغراء والاستثارة والجذب كبيرة منها:**

- ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله الى المرأة
- وأن يوسف –عليه الصلاة والسلام –كان شاباً
- وكان في بلاد غربة
- والمرأة كانت ذات منصب وجمال
- وأنها هي التي طلبت وبذلت الجهد
- وأنه في دارها وتحت سلطانها
- وأنه كان عبداً مملوكاً لها.

يقول ابن القيِّم–رحمه الله –بعد أن ذكر هذه الأوجه:" مع هذه الدواعي كلها فآثر مرضات الله وخوفه، وحمله حبه لله على أن اختار السجن على الزنا فقال﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه، وأن ربه تعالى لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه، وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه "[١]

(٤) تفسير القرطبي (١٦٢/٩).

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص١٤٩.

ومما يدل على عِفته –عليه الصلاة والسلام: –التي نتجت من قوة إيمانه بالله:

١–قوله﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾أي: اعتصم وألتجئ واحتمي بالله مما تدعوني إليه وقوله هذا دليل على تعظيمه لحرمات الله حيث رفض وامتنع عن فعل الفاحشة واحتمى بربه مباشرة. – ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾فقد قابل داعي الفحش والغواية، بنداء العفاف وهي: اللجأ إلى الله والاعتصام به وهذا من تقواه لله تعالى –ومراعاة لحق سيده الذي أكرمه وأحسن مثواه بعدم خيانته لأن هذا هو عين الظلم أن تقابل من أحسن إليك بالإساءة إليه، يقول ابن عاشور "وفي هذا الكلام عبرة عظيمة من العفاف والتقوى وعصمة الأنبياء قبل النبوءة من الكبائر."[٢]

ويقول البقاعي–رحمه الله– [١] "فيا له من دليل على إحسانه وحكمه وعلمه "[٢].

وهذا دليل على قوة وثبات عظيم في الإيمان الذي نشأ عنه ضبط النفس وقمع الشهوة عن الانحراف في مهاوي الردى والرذيلة، والوقوع فيما حرم الله.

٢–في قوله تعالى–﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾حيث قام هارباً إلى باب البيت وهذا يدل على قمة عفته حيث هرب من مواطن الفتن.

٣–في قوله "﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾قال ابن كثير[٣] "وقال بعضهم: "المراد بهمه بها هم خطرات حديث النفس"[٤] قال أهل العلم "وهذه صفة مدح لأنه امتنع مع وجود أسباب المعصية فالأحاديث جاءت أن الإنسان لا يحاسب على هم القلب وإنما على الفعل"[٥] ﴿ لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ ﴾قال ابن جرير الطبري –رحمه الله –[٦] " والصواب أن

(٢) التحرير والتنوير(١٢/٢٥٢).

(١) (أبو الحسن) برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي العالم المفسر المؤرخ الأديب ولد سنة ٨٠٩هـ سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس وتوفي في دمشق ٨٨٥هـ يُنظر في ترجمته: لبدر الطالع (١٩/١) شذرات الذهب (٣٩٩/٧) ا الأعلام(٥٠/١)

(٢) نظم الدرر (٢٨/٤).

(٣) تقدمت ترجمته ص٢٦.

(٤) تفسير ابن كثير (٣٨١/٤).

(٥) فوائد وفرائد لمحمد بن خالد الخضير ص٢١.

(٦) تقدمت ترجمته ص٢٠

يقال: إنه رأى من آيات الله ما زجره عما كان هم به" [٧] وهذا دليل على عفته حيث لم يغفل عن برهان ربه ولم يتبع هوى نفسه.

٤-﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾مما يدل على عفته اعتراف امرأة العزيز بذلك ووصفها له. بقولها "فاستعصم" "أي: فامتنع قال بعضهم: لما رأين جماله الظاهر أخبرتهن بصفاته الحسنة التي تخفى عنهن وهي العفة مع هذا الجمال " [٨] أنطقها الله الذي أنطق كل شيء.

٥-في قولها﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ ﴾اعترافها أمام الملأ بمراودتها له دليل على تعلقها به، وقد وصفها الله بقوله﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾. وصل حبه شغاف قلبها وهو كناية عن تغلغله في سويداء القلب وهذا زيادة في الابتلاء.

٦-في قولها﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾عاودته المراودة بمحضر منهن وهتكت جلباب الحياء، ووعدت بالسجن إن لم يفعل وانما فعلت هذا حين لم تخش لوماً ولا مقالاً" [١]

٧-في قوله﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾وهذا دليل أيضاً على معاودتها للمراودة وتوعدها له بالسجن، فاختار السجن بعلاته رغم ما فيه من العذاب والانقطاع والألم باعتبار أنه يخلصه من الوقوع في الحرام، وثمتَ أمر آخر يدل على عفته وهو عدم تعريض نفسه للفتنة، كل ذلك لأجل الحفاظ على العفاف.

٨-في قوله﴿ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾وقوله﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ يقول ابن سعدي: "وهذا يدل، أن النسوة، جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيدته، وجعلن يكدنه في ذلك." [٢] ومع ذلك لم يتنازل ولم يداهن ورغم محاولات امرأة العزيز والنسوة بل تعفف عن الجميع وهذا يدل على تمام عفته.

٩-في قوله﴿ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾من عفته –عليه الصلاة والسلام–وصف كل من يقع في الفاحشة والمعصية بالجهل.

١٠-ومما يدل على عفته –عليه الصلاة والسلام–: **أن الله برَّأه من السوء والفحشاء** كما قال تعالى

﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾.

---

(٧) تفسير ابن كثير (٣٨٢/٤).
(٨) تفسير ابن كثير (٣٨٦/٤).
(١) تفسير القرطبي:(١٨٤/٩).
(٢) تيسير الكريم الرحمن:(٣٩٧/١).

أنه برَّء نفسه من الفاحشة فقال﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ ﴾وقال﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾وقال﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾

اعتراف امرأة العزيز ببراءته حينما قالت للنسوة﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. ﴾اعتراف زوجها ببراءته حينما قال:﴿ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ. يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

اعتراف النسوة ببراءته في قوله﴿ وقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

تبرئة الشهود له كما قال تعالى﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

وكان من ثمرات عفته –عليه الصلاة والسلام –:

التمكين في الأرض، وصرف السوء والفحشاء، وحماية الله له من مكر وكيد النساء، حتى صار من عباد الله وأوليائه الأصفياء، قال تعالى﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾{سورة يوسف الآية: ٢٤}(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾{سورة يوسف الآية: ٥٤}

فصلوات ربي وسلامه على –نبي الله يوسف–الذي كان مثالاً للعفة والطهارة والنزاهة فقد رسم العفة بأكملها وجمع بين جمال الظاهر والباطن، فحصلت له عزة الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني: أثر الإيمان على صبره –عليه الصلاة والسلام–

.....

أولاً: بيان معنى الصبر لغةً شرعاً:

الصبر لغةً: "جمع صُبر يقال: صبر يصبر صبراً، فهو صابر وصبار وصبير والصبر: نقيض الجزع وصبور، صَبَرَ صَبْرًا: تجلَّد ولم يَجْزَع، وأَصل الصَّبْر الحَبْس وكل من حَبَس شيئًا فقد صَبَرَه والصبر: حبس النفس عند الجزع وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرا، وصبرته أنا: حبسته. قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.[1]

(١) انظر: تهذيب اللغة(١٢/١٧١). الصحاح: (٢/٧٠٦) مختار الصحاح (١/١٧٢)، لسان العرب (٤/٤٣٧)، القاموس المحيط (١/٥٤٠)

الصبر شرعاً: عرَّفه أهل العلم بعدة تعريفات من ذلك:

١-الصبر: "حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه "[(١)]

٢-وقيل :"ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله" [(٢)].

٣-وعرَّفه ابن القيِّم بأنه: "حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش " [(٣)]

٤-وقد بين ابن القيِّم حقيقة الصبر قائلاً: وحقيقة الصبر:" هو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها" [(٤)]

يتبين لنا من خلال هذا التعريفات الشاملة: أن الصبر قوة دافعة للعبد تمنعه عما يضره ويشينه في النفس والقول والفعل ويؤدي به نهاية إلى صلاح حاله ومآله.

ثانياً: من مظاهر صبره –عليه الصلاة والسلام–التي هي من آثار –إيمانه بالله تعالى :

قال الله جل وعز﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ " {سورة يوسف: الآية ٩٠}

ومن السنة حديث –النبي صلى الله عليه وسلم– "عجبتُ لصبر أخي يوسف وكرمه –والله يغفر له–حيث أرسل إليه ليستفتي في الرؤيا، ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج، وعجبت لصبره وكرمه –والله يغفر له–أتى ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره، ولو كنت أنا لبادرت الباب " [(٥)]

فقد شهد الله له بالصبر كما في الآية الآنفة الذكر والحديث النبوي فقد:

١-صبر على **فراق والديه**.

---

(١) المفردات في ألفاظ القرآن الكريم ص٤٧٤.

(٢) التعريفات: (١/ ١٣١)

(٣) مدارج السالكين:(٣١٩/٢)

(٤) انظر: عدة الصابرين، ص٢٩.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١ /٢٤٩) حديث رقم: (١١٦٤٠) عن إبراهيم بن يزيد عمرو بن دينار عن عكرمة عن =

=ابن عباس مرفوعا به وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم: (١٩٤٥). وانظر للفائدة شرح هذا الحديث كتاب التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني(٢١١/٧) وروح المعاني(٢٧/٤) حيث ذكر فيه فوائد حُقَّ لها أن تكتب بماء الذهب.

٢- صبر على **ظلم إخوته**: ويتمثل ذلك حينما تآمر عليه إخوته تارة بالتفكير بقتله، وتارة برميه في الجب قال تعالى" ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾"{سورة يوسف:الآيتان٩-١٠}،وحينما اتهموه بالسرقة حين دخلوا عليه ولم يعرفوه ﴿{قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾{سورة يوسف: الآية ٧٧} ، وكتم غيظه، وصبره هنا صبر اضطرار.

٣-صبر على **محنة امرأة العزيز** كما مر بنا سابقاً "وهذه المحنة العظيمة، أعظم على يوسف، من محنة إخوته، وصبره عليها، أعظم أجرا، لأنه صبر اختيار، مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها. وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها." [(١)]-

٤-صبر على **غربة السجن** يقول تعالى:(ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾{سورة يوسف: الآية ٣٥} وصبره على بقاءه في السجن ومكثه فيه بضع سنين حينما قال للناجي اذكرني عند ربك. ﴾والبضع: من الثلاث إلى التسع، ولهذا قيل: إنه لبث سبع سنين"[(٢)]

٥- صبر على **عدم خروجه من السجن** وذلك حينما طلب الملك لمن عنده أن يخرجوه من السجن فلما أن جاءه الرسول امتنع حتى تثبت براءته وهذا من رجاحة وكمال عقله وصبره قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾{سورةيوسف:الآيتان:٥٠-٥١ } .وأظهر الله براءته حينما قالت النسوة ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾وقول امرأة العزيز ﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾

٦-صبر **على الدعوة إلى الله**: وذلك حينما دخل السجن لم يتوانى عن الدعوة إلى سبيل ربه فقام بدعوتهم إلى توحيد الله وحده لا شريك له، ثم بين لهم بطلان الآلهة التي تعبد من دون الله، ثم نص على إخلاص العبادة له وهذا من حكمته وحرصه على الدعوة إلى الله ثم

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/٣٩٦).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/٣٩٨).

لما فرغ من البداءة بالأهم شرع في تأويل الرؤيا. وفي هذا دلالة واضحة على الارتباط الوثيق بين الإيمان والأخلاق ومدى تأثير ذلك على الجانب السلوكي(الصبر) الذي تجلى واضحاً في حياته فكانت النتيجة الرفعة والتمكين في الأرض﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾{سورة يوسف: الآية: ٩٠}

المبحث الثالث: أثر الإيمان على صفحه –عليه الصلاة والسلام-

.....

أولاً: بيان معنى الصفح لغةً واصطلاحاً:

الصفح لغةً: "صَفَحَ (عَنهُ) يَصْفَح صَفْحاً: أَعْرَضَ عَن ذَنْبه. وَهُوَ صَفُوحٌ وصَفّاحٌ: (عَفَا). وصَفَحْتُ عَن ذَنْبِ فُلانٍ، وأَعْرَضْت عَنهُ، فَلم أُؤَاخِذْه بِهِ والصفوح من أبنية المبالغةً. والصفوح: الكريم لأنه يصفح عمن جنى عليه وأصله من الإعراض بصفحة وجهه كأنه أعرض بوجهه عن ذنبه." (١)

الصفح اصطلاحاً: تعددت عبارات أهل العلم في تعريف الصفح:

١-فقيل: الصفح: "هو ترك التأنيب " (٢)

٢-وقيل:"هوترك التثريب" (٣)

٣-وقيل:"التجاوز عن الذنب وقيل: هو ترك مؤاخذة المذنب وأن تبدي له صفحة جميلة" (٤)

٤-وقيل:"إزالة أثره من النفس " (٥)

ولا تنافي بين هذه التعريفات إذ كلها تدور حول معنى الإعراض والترك والتجاوز عن المؤاخذة واللوم والتقصير.

ثانياً: من مظاهر صفحه –عليه الصلاة والسلام – الذي يدل على كمال إيمانه:

(١) مختار الصحاح (١٧٦/١)، لسان العرب (٧٢/١٥)، تاج العروس (٥٤٠/٦).

(٢) التوقيف في مهمات التعريف للمناوي (٢١٧/١).

(٣) الكليات للكفوي (٥٦٢/١).

(٤) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (٢٣٦/١).

(٥) تفسير القرطبي (٧١/٢).

١-صفحه عن-امرأة العزيز – حينما بادرت باتهامه بالفاحشة ظلماً وتسببت في دخوله السجن وبقائه فيه بضع سنين حتى أنطقها الله الذي أنطق كل شيء فاعترفت بجرمها وبرأته من كل دنس وعيب
﴿ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾{سورة يوسف: الآية:٥١} فعفى عنها، ولم يُشهّر بها ولم يفضحها.

٢-صفحه عن إخوته حينما تكالبوا عليه بشتى أنواع الأذى، وأصناف الردى، **من ذلك:**
أ-إضمارهم الحسد الذي تمثَّل في رغبة بعضهم بقتله تارة، وبإلقائه في غياهب الجب تارة، حتى كانوا سبباً في بيعه، وأحالوا بينه وبين أبيه ونهاية تسببوا في ذهاب بصر أبيهم.
ب-ومن ذلك أيضاً: رميهم له بالتهم الباطلة (بالسرقة) حينما قالوا: ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِها لهم ﴾ {سورة يوسف :الآية :٧٧}فلما توالت الأيام ووقعوا بين يديه قابلهم- عليه الصلاة والسلام- بأخلاق الأنبياء، وشيم النبلاء، وخواص الأصفياء، وخيار الأتقياء ونبل العظماء الأنقياء ،متمثلاً بقوله تعالى ﴿فمن عفى وأصلح فأجره على الله﴾ {سورة الشورى :الآية :٤٠}فلم يُؤنب، ولم يُجرِّح، ولم يُثرِّب ،ولم يلم ولم يُعاتب ،ولم يُعاقب، ولم يُؤاخذ بالذنب، ولم ينتقم ،بل تغافل كيف لا!! وقد خصَّه الله بالعلم والفهم والحكمة، وأتم عليه نعمته بالملك والنبوة والرسالة، وجعله من عباده المخلصين.
فقابلهم بخلق التغافل والعفو والصفح والدعاء لهم بالمغفرة حتى قالوا:﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾{سورة يوسف الآية:٩١} "أي: فضلك علينا، بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وأسأنا إليك غاية الإساءة، وحرصنا على إيصال الأذى إليك، والتبعيد لك عن أبيك، فآثرك الله تعالى
ومكَّنك مما تريده﴿ وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ "[1] فهذا اعتراف منهم بما فعلوه، وإقرار منهم لما اقترفوه فرد عليهم "﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾{سورة يوسف: الآية :٩٢} "أي لا تأنيب عليكم، ولا عتب عليكم اليوم، ولا أعير عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة
فقال (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)". [1] بل من تمام صفحه وكمال أدبه أنه قال لهم:﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾{سورة يوسف: الآية :١٠٠}"ولم يقل من الجب استعمالاً للكرم ؛ لئلا يذكر إخوته صنيعهم بعد عفوه عنهم "[2] ثم أردف ذلك الصفح

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٠٤/١).
(١) تفسير ابن كثير (٤٩٠/٢) .
(٢) تفسير القرطبي (٢٦٧/٩).

بكرمٍ آخر حينما قال:﴿ من بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ ﴾{سورة يوسف: الآية ١٠٠:} "أحال يوسف ذنب إخوته على الشيطان تكرماً منه وتأدباً " (٣)

فلم يُعرِّض بظلمهم، إنما مرَّ عليها مرورِ الكرام وتغافل عنها وأسندها إلى الشيطان حتى لا يحرجهم، وفي قوله﴿ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ ﴾أدب ثالث حيث لم يقل بيني وبينكم وإنما قال﴿ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ ﴾

ففيه تودد وتلطف وإشعار منه لهم بقيام عاطفة الأخوة واستمرارها، وفيه دليل على قمة الأدب والعفو والإحسان، وغاية الكرم والصفح والغفران.

المبحث الرابع: أثر الإيمان على وفائه-عليه الصلاة والسلام-

.....

أولاً: بيان معنى الوفاء لغةً واصطلاحاً.

الوفاء لغةً: الوَفاءُ: ضدُّ الغدر. وأصل الوَفاءُ: التَّمامُ، ووَفى الشيء وفيا، على فعول، أي: تم يقال: وَفَى

بعهده وأوفى، وفى الكيل ووفى الشيء أي تم، وأوفيته أنا أي: أتممته ورَجُلٌ وَفِيٌّ: ذُو وَفاء. وهو الخلق الشريف العالي الرفيع" (٤)

الوفاء اصطلاحاً: عرَّفها أهل العلم بعدة تعريفات منها:

١-قيل:"ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء" (٥) .

٢-وقيل:"الوفاء صدق اللّسان والفعل معا". (١)

٣-وقيل: "الْوَفَاء الْقيام بِمُقْتَضى الْعَهْد". - (٢) ولا منافاة بين هذه المعاني إذ كلها تدور حول إتمام الشيء والمحافظة عليه وعدم إبرامه ونقضه.

ثانياً:من مظاهر وفائه-عليه الصلاة والسلام -التي تدل على قوة إيمانه بالله:

---

(٣) فتح القدير(٣/٦٨).

(٤) تهذيب اللغة (١٥/٤١٩)، مختار الصحاح (٦/٢٥٢٦). لسان العرب (١٥/٣٩٩)، تاج العروس(١/٤٢٤).

(٥) التعريفات :(١/٢٥٣).

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص ٢٩٢.

(٢) الكليات:(١/٢٠٩).

١-حينما راودته امرأة العزيز فامتنع مستنكرا قائلا "﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ {سورة: يوسف: الآية: ٢٣} أحسن مقامي ومنزلتي وآواني وأكرمني وأمَّنني على أهله وبيته وكفلني وأحسن معاملتي فهل يليق بعد هذا أن أخونه في عرضه، وأقابله بالخيانة وأسيئ إليه بالفاحشة، ما هذا إلا فعل الظالمين!! وهذا دليل على وفائه بحقوق سيده، وعلو أخلاقه وسموها ورفعتها، وعلى صدقه في الأقوال والأفعال، وشدة مراعاته للعهود وعدم نقضه لها.

٢-ومما يدل على وفائه أيضاً: قوله تعالى " ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ {سورة يوسف:٥٨-٥٩} قال البغوي –رحمه الله – [٣] "(أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ ﴾ أي: أتمه ولا أبخس الناس شيئا، فأزيدكم حمل بعير لأجل أخيكم، وأكرم منزلتكم وأحسن إليكم ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ قال مجاهد: أي خير المضيفين. وكان قد أحسن ضيافتهم "[٤].

فحينما دخل عليه إخوانه أكرم وفادتهم، وأحسن إليهم وكال لكل واحد منهم بمقدار حمل بعير

" وكان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أن لهم أخا عند أبيه، وهو بنيامين. فقال لهم: ائتوني بأخ لكم من أبيكم: ثم رغبهم في الإتيان به فقال: ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾في الضيافة والإكرام .....وقال يوسف لفتيانه الذين في خدمته: اجعلوا بضاعتهم أي: الثمن الذي اشتروا به من الميرة. في رحالهم لعلهم يعرفونها أي: بضاعتهم إذا رأوها بعد ذلك في رحالهم، لعلهم يرجعون لأجل التحرج من أخذها على ما قيل. والظاهر أنه أراد أن يرغبهم في إحسانه إليهم بالكيل لهم كيلاً وافياً، ثم إعادة بضاعتهم إليهم على وجه لا يحسون بها، ولا يشعرون لما يأتي؛ فإن الإحسان يوجب للإنسان تمام الوفاء للمحسن ثم اعترفوا بهذا الوفاء لما فتحوا أمتعتهم ووجدوا بضاعتهم ردت إليهم حيث قالوا لأبيهم ﴿يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾:" أيُّ شيءٍ نطلب بعد هذا الإكرام الجميل، حيث وفى لنا الكيل، ورد علينا بضاعتنا على هذا الوجه الحسن، المتضمن للإخلاص ومكارم الأخلاق!! "[١] وهذا دليل على وفائه بحقوق الناس العامة والخاصة، وصدقه واستقامته وصلته بأرحامه، كيف لا وهي

(٣) تقدمت ترجمته ص١٥
(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/٥٠٠).
(١) تيسير الكريم الرحمن (١/٤٠١).

صفة من صفات الأنبياء والمرسلين، وخصلة من خصال المتقين، وعلامة من علامات الصادقين، وسمة من سمات الأولياء والصالحين.

المبحث الخامس: أثر الإيمان على كرمه ـعليه الصلاة والسلامـ

.....

أولاً: بيان معنى الكرم لغةً واصطلاحاً:

الكرم لغةً: "الكرم، محرَّكة ضِدُّ اللُّؤْم ويقال: رجل كرَم أيضا، وامرأة كرم، ونسوة كرم. ج: كُرماءُ وكِرام وكرائِم. والكرم: شرف الرجل. رجل كريم وقوم كرم وكرام، رجل كُرام، أي: كريم. وتكرم [عن الشائنات]، أي: تنزه، وأكرم نفسه عنها. والكرم: الصفح، (والكريم: الصفوح)".[1]

معنى الكَرَم اصطلاحاً: عرِّف بعدة تعريفات منها:

"١-الكَرَم: هو الإعطاء بسهولة "[2]

٢-وقيل:" الْكَرم: هُوَ إِعْطَاء الشَّيْء عَن طيب نفس قَلِيلا كَانَ أَو كثيرا".[3]

٣-وقيل:"الكرم: إفادة ما ينبغي لا لغرض"[4]

٤-وقيل:"الكَرَمُ: الْإِعْطَاء بالسهولة، وَطيب النَّفس، وَقيل: اسْم لجَماعَة الْأَخْلَاق المحمودة، وَالْأَفْعَال المرضية إِذا ظَهرت بِالْفِعْلِ." [1]

٥-وقيل:"والْكَرم: إِن كَانَ بِمَال فَهُوَ(جود)، وَإِن كَانَ بكف ضَرَر مَعَ الْقُدْرَة فَهُوَ(عَفْوَ)، إِن كَانَ ببذل النَّفس فَهُوَ (شجاعة) ". [2] ولاتنافي بين هذه التعريفات إذ الكرم هو العطاء بجميع صوره بيسر وسهولة نفس قليلاً كان أم كثيراً.

---

(١) العين (٣٦٨/٥) مقاييس اللغة (٧٨٢/١)، مختار الصحاح (٢٠٢٠/٥،)، القاموس المحيط (١١٥٣/١).

(٢) التعريفات (١٨٤/١)

(٣) الفروق اللغوية: (١٧٥/١).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٨١/١)

(١) معجم مقاليد العلوم الحدود والرسوم:(٢٠٦/١).

(٢) الكليات:(١ /٥٣).

ثانياً:ومن مظاهر كرمه –عليه الصلاة والسلام –: الذي هو من آثار إيمانه بالله العلي العظيم:

١–قوله لهم "ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ﴾{سورة يوسف: الآية: ٥٩} قال ابن سعدي "ومنها مشروعية الضيافة وأنها من سنن المرسلين وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته﴿ ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾ (٣) وقال تعالى:"(وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾{سورة يوسف: الآية ٦٢:}

ولايخفى أن أعظم الكرم ما كان عن شدة الفاقة والاحتياج وهذا ينطبق على إخوة يوسف – عليه الصلاة والسلام –وكيف قابلهم الكريم بما في ظاهره كرم اليد ودافعه كرم النفس.

٢–أن إخوته حينما رجعوا إلى أبيهم وفتحوا أمتعتهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم حيث قالوا لأبيهم﴿ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾فقد أكرمنا غاية الإكرام ولم يكتف بذلك بل أمر ببضاعتنا فردت إلينا وفعله هذا من باب الكرم وحتى يعودوا إليه مرة أخرى يا أبانا ما نبغي أي: أي شيء نطلب بعد هذا الإكرام الجميل، حيث وفى لنا الكيل، ورد علينا بضاعتنا على هذا الوجه الحسن، المتضمن للإخلاص ومكارم الأخلاق؟! وجعل بضاعتهم في رحالهم كرما منه وهذا أبلغ مما لو رده لهم صراحة "أنهم كانوا قد وصفوا يوسف بالكرم واللطف وقالوا: إنا قدمنا على رجل في غاية الكرم أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب لما فعل ذلك، فقولهم: (ما نبغي) أي بهذا الوصف الذي ذكرناه كذبا ولا ذكر شيء لم يكن ".(٤)

٣–تأويله للرؤيا التي رآها الملك على الفور وهذا حال الكرماء الأوفياء الأنقياء رغم دخوله السجن ظلما وعدوانا ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾{سورة يوسف: الآية :٤٣} وإجابته للسائل (الساقي) ما طلب وهو أحد الفتيين اللذين كانا معه في السجن وقد أوصاه عند خروجه بقوله "اذكرني عند ربك" فأنساه الشيطان ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/٤٠٧).
(٤) التفسير الكبير للرازي (١٨ /٤٨٠).

ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ {سورة يوسف :الآيات:٤٥-٤٩}" لم يعنفه يوسف على نسيانه، بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه عن ذلك" [١]وهذا من كريم خلقه حيث لم يعاتب الساقي ولم يمتنع من التأويل ولم يجعل ذلك على سبيل المقايضة في مقابلة الملك أو اشتراط الخروج وفي الحديث" لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط عليهم أن يخرجوني ، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ، ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر" [٢] كيف لا وقد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالكرم فقال: "الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام" [٣]فالرسول صلى الله عليه وسلم وصف يوسف –عليه السلام–بالكرم قال ابن الأثير: [٤] "وهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي. النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الأخلاق والعدل ورئاسة الدنيا والدين، فهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، رابع أربعة في النبوة" [٥]وفي الحديث "فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله" [٦] "وأصل الكرم كثرة الخير، وقد جمع يوسف –صلى الله عليه وسلم– مكارم الأخلاق، مع شرف النبوة، مع شرف النسب، وكونه نبيا ابن ثلاثة أنبياء متناسلين أحدهم خليل الله – صلى الله عليه وسلم –، وانضم إليه شرف علم الرؤيا ، وتمكنه فيه ، ورياسة الدنيا ، وملكها بالسيرة الجميلة ، وحياطته للرعية ، وعموم نفعه إياهم ، وشفقته عليهم ، وإنقاذه إياهم من تلك السنين" [١].

(١) تيسير الكريم الرحمن(٣٩٩/١).
(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨١/١) وابن جرير الطبري في تفسيره(١٣٩/١٢) من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزي .
(٣) تقدم تخريجه ص١٧.
(٤) (أبو الحسن) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المشهور (بابن الأثير الجزري) ولد سنة٥٤٤هـ عالم أديب مؤرخ إسلامي كبير توفي سنة ٦٠٦هـ يُنظر في ترجمته: معجم المؤلفين(١٧٤/٨).
(٥) النهاية في غريب الحديث ص: ١٦٧
(٦) أخرجه البخاري، كتاب (الأنبياء) باب (قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا}) (١٢٢٤/٣)، حديث رقم: (٣١٧٥)، ومسلم، كتاب (الفضائل)، باب (من فضائل يوسف –عليه السلام–) (١٨٤٦/٤)، حديث رقم: (٢٣٧٨).
(١) شرح صحيح مسلم (١٣٤/١٥)

٤–قوله ﴿ وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾{سورة يوسف: الآية:٩٣} **وهذه** من صفات القيادة الناجحة وهذا من كرمه عليه الصلاة والسلام –حيث أكرم العشيرة بالكامل.

المبحث السادس: أثر الإيمان على صدقه ـعليه الصلاة والسلامـ

.....

أولاً: بيان معنى الصدق لغةً وشرعاً.

الصدق لغةً: "الصَّاد وَالدَال وَالقاف أصل يدل على قوة فِي الشيء قولا وغيره. مِن ذلِك الصِّدق: خلاف الكَذِب، . وقد صدقَ في الحديث وتصادقا في الحديث وفي المودة. والمصَدق: الذي يُصَدِّقُكَ في حديثك سُمي لِقُوَّته فِي نفسِه، وَلِأَنَّ الكذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ، هَ بَاطِل. والصِّدق: مطابقَةُ القولِ الضّمير، والمخبر عنه مَعاً "(٢)

الصدق شرعاً: عُرِّف بعدة تعريفات منها:

١–"قول الحق في مواطن الهلاك، وقيل: أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب، وقيل: الصدق: ألا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب،

٢–وقيل: الصدق: هو ضد الكذب، وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان" (٣)

ولا منافاة بين هذه التعريفات إذ كلها تصب في قالب واحد وهو موافقة الظاهر للباطن

ثانياً:من مظاهر صدقه –عليه الصلاة والسلام – التي تدل على –قوة إيمانه بالله تعالى–:

يقول تعالى:﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾{سورة الزمر: الآية: ٣٣}

"﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: في قوله وعمله" (١)ويدخل في ذلك دخولاً أولياً أنبياء الله ورسله ومنهم نبي الله –يوسف عليه الصلاة والسلام–فقد كان صادقاً مصدِّقاً، صادقاً في أقواله، ومصدقاً في أفعاله على المتابعة والإخلاص ،فقد ضرب أروع المثل في الصدق وهذا بشهادة امرأة العزيز حينما قالت –﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾{سورة يوسف :الآية : ٥١}.حيث اعترفت بأنها هي السبب في فتنته وإغرائه وأنه من الصادقين .وبشهادة الفتى الذي جاءه ليستفتيه في رؤيا الملك التي رآها

(٢) الصحاح (١٥٠٥/٤) مقاييس اللغة (٣٣٩/٣)، تاج العروس (٥/٢٦).
(٣) انظر: مدارج السالكين (٢٧٤/٢) والتعريفات (١/ ١٣٢)
(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٢٤/١).

،فقد وصف نبي الله يوسف– بالصديق –فقال : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾{سورة يوسف :الآية: ٤٦} "والصدِّيق: أصله صفة مبالغة مشتقة من الصدق، كما تقدم عند قوله –تعالى: "وأمه صدِّيقة "في سورة العقود [٢]، وغلب استعمال وصف الصديق استعمال اللقب الجامع لمعاني الكمال واستقامة السلوك في طاعة الله –تعالى –؛ لأن تلك المعاني لا تجتمع إلا لمن قوي صدقه في الوفاء بعهد الدين" [٣]

وحينما وصفه بالصديق وصفه بناءاً عن تجربة ومعاشرة واختلاط لاحظها حينما جربه وخالطه في السجن فانطلق الفتى ليدلهم على الصديق وهو واثق أن يوسف –عليه الصلاة والسلام –قادر على تأويل الرؤيا لما رأى من أحوال يوسف عليه الصلاة والسلام من الصدق مع ربه في الأحوال والأقوال والأفعال واتصافه بطهارة القلب، ونقاء السريرة وطلب منه تأويل ذلك ليوصلها إلى الملك لعل هذا الأمر يكون سبباً لخلاصه من قيد السجن.

لا شك أن خلق الصدق يتشعب عنه جملة من الأخلاق الفاضلة منها: اللجأ إلى الله والإكثار من دعائه، والثبات والصبر والرضا، ومن هؤلاء الرجال الذين صدقوا مع الله وصدقوا مع الخلق نبي الله –يوسف عليه الصلاة والسلام –ومما يدل على صدقه:

١–صدقه مع الله وعدم ركونه إلى نفسه، واغتراره بإيمانه، حيث لجأ ودعا ربه وتوجه إليه قائلا: ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن ﴾

٢–دعوته إلى الله وهو في السجن حيث لم تثنه المصائب عن القيام بواجب الدعوة إلى التوحيد

﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ {سورة يوسف: الآية:٣٩}.

٣–صموده وثباته على المحن والمصائب التي تعرض لها كصبره على محنة امرأة العزيز وصبره على دخول السجن والبقاء فيه كما قال ابن القيِّم _رحمه الله" فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال" [١] هذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة قلبه وثبات جأشه وقدمه وهذا من آثار الصدق.

٤–تبرئته لنفسه مما رمته به –امرأة العزيز–من الفاحشة فقال:﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ {سورة يوسف: الآية:٢٦}. " وقال ﴿معاذ الله"﴾ ويشهد لهذا تبرئة الشهود له كما قال تعالى "وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان

(٢) يعني سورة المائدة.
(٣) التحرير والتنوير (٢٨٤/١٢).
(١) مدارج السالكين (٢٧٤/٢).

قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين " {سورة يوسف: الآيتان: ٢٧-٢٨}. واعتراف امرأة العزيز ببراءته حينما قالت للنسوة ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ "{سورة يوسف: الآية :٥١} واعتراف النسوة ببراءته في قوله﴿ قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء﴾{سورة يوسف: الآية :٥١}واعتراف زوجها ببراءته حينما قال: "إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين. ﴾"{سورة يوسف: الآية :٢٨}

والمقصود: أن الصدق خلق عظيم، وعلامة من علامات المتقين، ومن أبرز أخلاق الأنبياء والمرسلين، وحمله شديد على النفس، ويحتاج إلى جهاد وصبر واستعانة بالمولى جل جلاله-لا يصدر إلا من مخلص قد استوت سريرته بعلانيته، قال ابن القيِّم: "فحمل الصدق كحمل الجبال الرواسي، لا يطيقه إلا أصحاب العزائم،"[٢] فمن صدق مع الله بنيته وقوله ولسان حاله، وصل إلى مرتبة الصديقية، فأساس الإيمان هو الصدق فإذا وقر في القلب، صدقته الجوارح، وتفرعت عنه الأعمال الصالحة.

المبحث السابع: أثر الإيمان على أمانته ـعليه الصلاة والسلامـ

.....

أولاً: بيان معنى الأمانة لغةً وشرعاً:

الأمانة لغةً: " الْهمزة والْمِيم وَالنون أَصلانِ متقاربان: أَحدهمَا الأَمَانَة الَّتِي هِيَ ضد الْخِيانة، ومعناها سُكونُ القلب، وَالآخرُ التصدِيق. والْأَمنةُ مِن الأمنِ. وَالأمان إِعطاء الأمنة. وَالأمانة ضدُّ الخيَانة يقال: أمنت الرجل أمنا وأمنة وأماناً، وآمنني يؤمنني إيماناً. والعرب تقول: رجل أمان: إذا كان أميناً " [١]

الأمانة شرعاً: تعددت تعريفات الأمانة:

١ –فقيل "الْأَمَانَة: كل مَا يؤتمن عَلَيْهِ كأموال وَحرم وأسرار فَهُوَ أَمَانَة" [٢]

٢–وقيل:"الأمانة: مصدر سمي به الشيء الذي في الذمة." [٣]

٣–وقيل:" الأمانة: هي كل حق لزمك أداؤه وحفظه." [٤]

---

(٢) مدارج السالكين (٢/٢٦٤).

(١) مقاييس اللغة (١/١٣٣) لسان العرب (١٣/٢١).

(٢) الكليات (١/١٧٦).

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٣٨٦).

(٤) فيض القدير للمناوي (١/ ٢٢٣). تحفة الاحوذي (٤/٤٠٠.)

فقد دلَّت هذه التعريفات على أن الأمانة ما يُؤتمن عليه الإنسان من الحقوق اللازمة التي يجب عليه أن يؤديها ويحفظها.

ثانياً:من مظاهر أمانته –عليه الصلاة والسلام–التي تدل على– قوة إيمانه بالله تعالى – :

لا يخفى أن الأمانة خُلة مميزة لأصحاب الرسالات، "إني لكم رسول أمين " {سورة الدخان: الآية:١٨} ونبينا يُوسف –عليه الصلاة والسلام–من صفاته المثلى "الأمانة **ويتجلى هذا فيما يلي:**

١–أن الملك حينما تحقق من براءة يوسف –عليه الصلاة والسلام –ونزاهة عرضه وعفته، وصدقه وأمانته، و علمه ورجاحة عقله طلب منهم أن يحضروه حتى يقربه إليه ويجعله من أصفيائه ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾. {سورة يوسف: الآية :٥٤} ﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ " أي : إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة" (١) وكأن في هذه العبارة اشعار له بالأمان "فقوله مكين أي :شديد المكنة، من المكانة، وهي حالة يتمكن بها صاحبها من مراده أمين من الأمانة، وهي حال يؤمن معها نقض العهد،" (٢)

ثم لما وصفه بالأمانة وأعطاه العهد بالمكنة طلب منه يوسف –عليه الصلاة والسلام– ما يثبت تصوره فقال له –﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمحْسِنِينَ﴾ {سورة يوسف: الآيتان : ٥٤–٥٦}.وهذا يدل على قوته وأمانته حيث طلب منه ولاية خزائن أرض مصر وتدبيرها من جهة الإيرادات والمصروفات، وطلبه هذا لأنه علم من نفسه أنه أهلاً لذلك ولأنه علم أن الأمانة ستضيع باستبعاد أهل الحق وغلبة الجهل ،ووصف نفسه بالحفظ والعلم لسببين:

١–لأنهما من أبرز الصفات المطلوبة لمن استرعاه الله رعية فقوله: حفيظ: أي: أمين عليها أضعها في موضعها وأصرفها لمن يستحقها عليم أي: بأحوال التصرف فيها.

٢–لأن ملك مصر ذكر له–﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾فلا تكون المكنة للعبد إلا إذا كان صاحب قوة وحزم، يحفظ لكل ذي حق حقه، ولا يكون أمينا إلا إذا كان عالما بأوجه التصرف.

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٥/٤).
(٢) نظم الدرر (١٣١/١٠).

٣-ومما يدل على أمانته أن إخوته اعترفوا بذلك قال تعالى: -﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾{سورة يوسف: الآية:٩١}. "أي: أن الله فضلك علينا بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وأعزَّك بالعلم والحلم والصدق والفضل والأمانة؛ وإنا كنا لخاطئين بما فعلناه"(٣)

والمقصود: أن الأمانة خُلة شريفة، وخلق نبيل، وصفة عظيمة من أعظم صفات أنبياء الله ورسله، ونبينا يوسف -عليه الصلاة والسلام-قد ضرب أروع المثل في هذا الباب فكان صادقاً في جميع معاملاته من رعاية الحدود والمحافظة على العهود، والوفاء بالوعود، والالتزام بالتكاليف، وحفظ الحقوق وأداء ما استودع، وهذا دليل على الإيمان العظيم والإخلاص الجسيم، الذي يحمله في قلبه.

المبحث الثامن: أثر الإيمان على حكمته -عليه الصلاة والسلام-

.....

أولاً: بيان معنى الحكمة لغةً واصطلاحاً:

الحكمة لغةً: "(حكم) الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع وسُمِّيت حكمة الدابة لأنها تمنعها، يقال حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال: حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكمت فلانا تحكيما منعته عما يريد، وحَكِّم الْيَتِيم أَي امنعه من الفساد وأصلِحه كما تصْلِح ولدَك وكما تَمنعه من الفساد والحكمة من العلم. والحَكِيم العالم، وصاحب الحِكْمة، وَقد حَكُمَ كَكَرُم: صَار حكِيمًا، وَالحكِيم أَيضا الْمتْقِن لِلأُمُور ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم وأحكم الأمر: أتقنه، وأحكمته التجارب على المثل، وهو من ذلك. ويقال للرجل إذا كان حكيما: قد أحكمته التجارب."(١)

الحكمة اصطلاحاً: فقد عرَّفها أهل العلم بعدة تعريفات منها:

١-هي" كل ما يمنع من الجهل وزجر عن القبيح ".(٢)

---

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٠٤/١).

(١) تهذيب اللغة (٦٩/٤) مقاييس اللغة (٩١/٢)، مختار الصحاح (٧٨/١)، القاموس (١٠٩٥/١)، تاج العروس (٥٢١/٣١).

(٢) فيض القدير (٥١٠/٥).

٢-وقيل: " العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النّفس وتحقيق الحقّ للعمل به والكفّ عن ضدّه، والحكيم من حاز ذلك"[٣]

٣-وقيل:"هي العلوم النّافعة، والمعارف الصّائبة، والعقول المسدّدة، والألباب الرّزينة، وإصابة الصّواب في الأقوال والأفعال. ثم قال: وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام "[٤]

٤-وقيل:"فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي."[٥]

٥-واختلف في المراد بالحكمة فقيل:" الإصابة في القول. وقيل: الفهم عن الله، وقيل ما يشهد العقل بصحّته، وقيل نور يفرّق به بين الإلهام والوسواس. وقيل: سرعة الجواب بالصّواب. وقيل: غير ذلك ". [١]

والذي نستفيده من جملة هذه التعريفات: أن الحكمة: عبارة عن هيئة في النفس تصدر عنها الأفعال بعلم وحلم وأناة فينتج عنها إصابة الحق في الأقوال والأعمال، ووضع الأشياء في مواضعها، والتمييز بينها وتنزيل الأحكام عليها، وإتقان الأمور، وتحقيق الغايات والوسائل، وهذا لا يتأتى إلا بفهم القرآن، والفقه في الدين، ومعرفة حقائق الإيمان.

ثانياً: من مظاهر حكمته –عليه الصلاة والسلام–التي تدل على إيمانه:

١-في قوله تعالى:(وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ * فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ ﴾{سورة يوسف: الآيتان: ٥٩، ٦٠}.

فقد دلَّت الآية على حكمته من عدة أوجه:

أ-أن يوسف –عليه الصلاة والسلام–لما جهزهم استوصى بهم خيراً وأكرمهم وأحسن وفادتهم ومقامهم وحمل لهم ما يحتاجونه من الميرة ومن حكمته وحسن تدبيره ووضعه للأمور في مواضعها أنه كان لا يكيل لأحد أكثر من حمل بعير.

ب-لما سألهم عن أحوالهم وأخذ يستقصي أوضاعهم أخبروه أن لهم أخاً من أبيهم تركوه عند والدهم

(٣) شرح مسلم للنووي (٢/٣٣).
(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن (١ / ٣٣٢).
(٥) مدارج السالكين (٢ / ٤٩٩).
(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر(٧/١٠٠).

فاشترط عليهم في المرات القادمة الاتيان بهذا الأخ مرغباً لهم بما أراهم من كريم أفعاله وحسن ضيافته قائلا:(أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ وهذا ترغيب لهم بالحضور لعلمه بحاجتهم إلى الميرة

وفي قوله:(فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ ﴾هذا ترهيب وتخويف لهم بمنعِهم من الميرة في المرّة القابلة إذا قدموا بغير أخيهم.

وزادهم ترغيباً حينما أمر الفتيان برد البضائع التي قدموا بها وجعلها في رحالهم من حيث لم يشعروا وذلك زيادة في الترغيب وتحفيزاً لهم للعودة مرة أخرى.

وهذا من حكمته –عليه الصلاة والسلام–حيث حزم الأمر وجمع ما بين الترغيب والترهيب خوفهم ورفق بهم بوضعه لهم الحوافز حتى يقبلوا وهذا من شروط القائد الحكيم الناجح والإداري السياسي المحنَّك.

٢–من حكمته في باب الدعوة إلى الله أنه ابتدأ بدعوة الفتيين إلى التوحيد وهو داخل السجن قبل أن يعبر لهما الرؤيا﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾{سورة يوسف: الآية:٣٩} فنظر إلى أحوالهما، وطريقة دعوتهما، والبداءة بما هو أهم لهما.

٣–ومن حكمته حينما قال للملك﴿ اجْعَلْنِي على خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ {سورة يوسف: الآية:٥٥}. وكانت مصر حينذاك "خزانة الأرض" [(١)] حيث علم من نفسه قدرته على تصريف أمورها وتدبيرها والاعتناء بها وتخزينها في سنبلها حتى ينتفع الناس منها في السنون المجدبة ولما عم القحط والجدب صار الناس يقصدون أرض مصر حيث جعل لكل واحد منهم كيل بعير وحصل بهذا نفع عظيم، وطلب نبي الله يوسف هذا الطلب من باب النصح للأمة ولأنه علم من نفسه العدل والحكمة والإصلاح ولهذا قال:

﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾فهي تنال بالحفظ والعلم.

٤–وتتجلى حكمته أيضاً في تعبيره للرؤيا قال أبو حيَّان [(٢)] :"أشار برأي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها" [(٣)] حيث كان عالما بطرق تسييس الناس، وتحصيل منافعهم، ووضع لهم خطة تقوم على التخطيط الدقيق ،والترتيب المحكم ،والاقتصاد الناجح .

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٩/٢١٣).

(٢) (أبو حيأَن) محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي المشهور (أثير الدين) الأديب اللغوي المفسر النحوي ولد سنة ٦٥٤هوتوفي سنة ٧٤٥هـ يُنظر في ترجمته: إنباه الرواة (٤/٢٨٦) (معجم المؤلفين (١٢/١٣٠).

(٣) نظم الدرر(٤/٥٢).

ففي قوله﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ ﴾{سورة يوسف: الآية:٤٧}."– ذكر لهم أعوام اليسر وأعوام العسر فبدأ بذكر اليسر﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ثم بذكر العسر وهو سبع شداد يأكلن ما قدمتم ثم ذكر مآلهم إلى اليسر﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

- ففي قوله:﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ ﴾قال ابن عاشور: " وَأَشَارَ إِلَى إِبْقَاءِ مَا فَضُلَ عَنْ أَقْوَاتِهِمْ فِي سُنْبُلِهِ لِيَكُونَ أَسْلَمَ لَهُ مِنْ إِصَابَةِ السُّوسِ الَّذِي يُصِيبُ الْحَبَّ إِذَا تَرَاكَمَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ فِي سُنْبُلِهِ دُفِعَ عَنْهُ السُّوسُ "(١)
- ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾"أشار إليهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخصب لادخار ما فضل عن ذلك لزمن الشدة " (٢)

فلم يكتف بتأويل الرؤيا فقط بل دلَّهم على ما ينفعهم، ووضع لهم خطة في بيان طرق التخزين والاستهلاك وما يتخذونه حيال السنوات القادمة. وهذا من شكره لله حيث قدَّم لهم ثمرة حكمته وخلاصة ما عنده من الفقه والتجربة.

٥–في قوله﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾{سورة يوسف: الآية:٧٠} حيث دبَّر لهم حيلة حتى يصل إلى مقصود مباح وذلك بوضعه الصواع (٣)في رحل أخيه حتى يبقيه معه ويخلصه منهم وهذا المكيدة إلهام من الله ليوسف–عليه الصلاة والسلام–لما فيها نهاية من الحكمة والمصالح التي تعود عليه وعلى إخوته.

وفي قوله﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ﴾{سورة يوسف: الآية:٧٦} دليل على حكمته لدفع الريبة والتهمة

﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾وأقبلوا إخوة يوسف –عليه الصلاة والسلام– مستفهمين ماذا تفقدون؟ قالوا نفقد صواع الملك وكان الحكم في أرض كنعان أنهم يأخذون السارق ويسترقونه فيكون ملكاً لصاحب المال المسروق.

---

(١) التحرير والتنوير(١٢/٢٨٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) والصَّاع مكيال معروف. والجمع صيعان الصواع الذي كان يشرب فِيه الملك، وكان إناء من فضة به كانوا يكيلون الطعام

انظر: تهذيب اللغة (٩/١٨١) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (١/٢١١).

وفي قوله﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾. {سورة يوسف: الآية:٧٧} وفي قوله﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾{سورة يوسف: الآيتان:٧٨-٧٩}

ومن حكمته لما طلبوا منه أن يأخذ أحدا منهم مكانه رد عليهم بأن هذا ظلم والظلم ينافي الحكمة فهو وضع للشيء في غير موضعه، فهذه مواقف عظيمة من نبي كريم تجلت عنده الحكمة في أقواله وأعماله وجميع أموره من جهة وضع الأمور في مواضعها وتنزيلها منازلها كيف لا وقد امتن الله عليه بالحكمة كما قال تعالى﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾{سورة يوسف: الآية:٢٢} "حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل " [١]

المبحث التاسع: أثر الإيمان على برِّه لوالديه:

.....

أولاً: بيان معنى البر لغةً وشرعاً:

"**البِرُّ لغةً**: خلاف العقوقِ، والمِبَرَّةُ مثْله. تقول: بررت والدي بالكسر، أَبره بِرا، فأنا بر به وبار. وجمع البَرَّ أَبرار، وجمع البار البررة. وفلان يبر خالقه ويَتَبَرَّرُه، أي يطيعه. والأم بَرة بولدها. وبَر فلان في يمينه، أي: صَدَقَ" البر: ضد العقوق (والبر: الصدق)، يقال فيهما: بررت أبرُّ. ورجل بار وبرُّ. البر: ضد العقوق (والبر: الصدق)، يقال فيهما: بررت أبرُ. ورجل بار وبرُّ.[٢]

البر شرعاً: "كلمة جامعة لكل أصناف الخير ويراد منها ما هو زائد عن حدود التقوى فهو مرتبة فوق التقوى ودون مرتبة الإحسان "[٣]

ثانياً:من مظاهر برِّه لوالديه التي تدل على نتجت من قوة إيمانه بالله تعالى:

١-في قوله تعالى﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ {سورة يوسف: الآية:٤} وقوله﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾{سورة يوسف: الآية:١٠٠} ففي قوله ﴿ يَا أَبَتِ﴾

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي(١٥٩/٣).
(٢) الصحاح (٥٨٨/٢) مقاييس اللغة (١١١/١).
(٣) البر والصلة لابن الجوزي ص٤-٥.

فيه الأدب مع الوالدين وبرهما حيث ناداه باستعطاف وتذلل وانكسار ورقة والله يقول ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ {سورة الإسراء: الآية:٢٤} " وفيه إظهار الطواعية والبر"(١)

٢-وفي قوله﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ {سورة يوسف: الآية:٩٣} أراد نبي الله يوسف –عليه الصلاة والسلام –أن يبشر والده أنه لايزال حياً، ويدخل السرور عليه، "وفائدة إرساله إلى أبيه القميص أن يثق أبوه بحياته ووجوده في مصر، فلا يظن الدعوة إلى قدومه مكيدة من ملك مصر، ولقصد تعجيل المسرة له".(٢)

٣- ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾{سورة يوسف: الآيتان:٩٩-١٠٠} قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: " فلما دخل يعقوب وولده وأهلوهم على يوسف﴿ آوى إليه أبويه ﴾، يقول: ضم إليه أبويه فقال لهم: ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾".(٣) وهذا من بره –عليه الصلاة والسلام حيث أحسن استقبالهما وآواهما وأظهر لهما الحفاوة اجلالا وإكراما لهما وقوله:﴿ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ةيعني: أجلسهما في مكان مرتفع وفيه تقدير وإعزاز وإكرام الوالدين في التعامل. ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾أي: سجد له أبواه وإخوته الباقون، وكانوا أحد عشر رجلاً﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾أي: التي كان قصها على أبيه﴿ إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى –عليه السلام –فحرم هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى" (٤)

وهذه المظاهر تدل دلالة واضحة على برّه –فإن من صور البر الواجبة (الإحسان إلى الأقرب فالأقرب) وليس هناك أقرب من الوالدين فبر الوالدين من صفات الأنبياء والمرسلين، ومن خلال عباد الله المتقين، وباب من أبواب الفوز برضا الرحمن الرحيم.

(١) البحر المحيط (٦٠/٢٣٨).
(٢) التحرير والتنوير (١٣/٥١).
(٣) جامع البيان (١٦/٢٦٤).
(٤) تفسير ابن كثير(٤/٤١٢).

المبحث العاشر: أثر الإيمان على اخلاصه-عليه الصلاة والسلام_

.....

أولاً: بيان معنى الاخلاص لغةً وشرعاً:

الإخلاص لغةً: "الخاء واللام والصاد أصل واحد مطَّرِد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه، يقولون: خَلّصته من كذا وخَلَص هو خلص الشيء بالفتح، يخلص خلوصا وخلاصا إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم، وأخلصه وخلصه، وأخلص لله دينه: أمحضه والتخليص التَنحِية من كل مَنشَبٍ، تقول: خَلَّصته من كذا تخلِيصًا، أَي: نَجَيته تنجِيَة فتخلص، كما يتخلّصُ الغزل إِذا الْتبس" (١)

الإخلاص شرعاً: تنوعت العبارات في تعريف الإخلاص:

١-فقيل:"تخليص القلب من كلّ شوب يكدّر صفاءه، فكلّ ما يتصوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصا ألّا تطلب لعملك شاهدا غير الله تعالى وقيل: الإخلاص عمل يعين على الإخلاص. وقيل الخلاص عن رؤية الأشخاص، وقيل تصفية العمل من التّهمة والخلل."(٢)

٢-"وقيل: هو إفراد الحق -سبحانه -بالقصد في الطاعة، وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وقيل: استواء أعمال العبد في السريرة والعلانية، وقيل: تصفية العمل من كل شَوْب" (٣)

والذي نستفيده من جملة هذه التعريفات: أن الإخلاص هو كمال التعلق بالمولى سبحانه وتعالى-وتصفية وتنقية العمل والقلب عن ما يشوبه من حظ النفس، وملاحظة المخلوقين.

ثانياً: من مظاهر إخلاصه التي تدل على كمال-ايمانه ويقينه بالله تعالى:

١- ممايدل على إخلاصه شهادة الله له بأنه من المخلصين قال تعالى ﴿ ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ {سورة يوسف: الآية: ٢٤}" أي: من المجتبيين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار، صلوات الله وسلامه عليه ".(١)

---

(١) مقاييس اللغة (٢٠٨/٢) لسان العرب (٢٦/٧) التوقيف على مهمات التعاريف (٤٢/١).

(٢) التعريفات: (١٣/١).

(٣) مدارج السالكين (٩١/٢).

(١) تفسير ابن كثير(٣٨٢/٤).

"قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر [٢]" المخلِصين " بكسر اللام ؛ وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله.

وقرأ الباقون بفتح اللام، وتأويلها: الذين أخلصهم الله لرسالته ؛ وقد كان يوسف –صلى الله عليه وسلم –بهاتين الصفتين ؛ لأنه كان مخلصاً في طاعة الله تعالى، مستخلصا لرسالة الله تعالى".[٣]

فالإخلاص: أساس دعوة الأنبياء والمرسلين، بل هو دين الأنبياء جميعا، وهو سر العبودية وهو طوق النجاة من الشرور والفتن، وهو سبيل الخلاص.

كما قال ابن القيم –رحمه الله–"فالله تعالى يبتلي عبده المؤمن ليطهره من الذنوب والمعايب، ومن رحمته بعبده المخلص أن يصرف عنه ما يغار عليه منه، كما قال تعالى:﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِين ﴾.[٤] "فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا"[٥] "فلما أخلص يوسف عليه السلام لربه، صرف عنه دواعي السوء والفحشاء، فالإخلاص هو سبيل الخلاص" [٦]

٢–ومن صور إخلاصه أيضاً: إخلاصه في الدعوة إلى الله وهو في السجن فلم يدعوا إلى نفسه وإنما دعا إلى توحيد ربه﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾. {سورة يوسف: الآية:٣٩}

٣–إخلاصه في ترك المعصية لله: وليس أدل على ذلك من قصته مع امرأة العزيز فإن المقتضي موجود والفرصة مُهيئة، والمكان خال، والشروط متوفرة، لكن منعه مانع الخوف من الله فقد ترك المعصية خالصاً من قلبه فحصل له كمال العفة. ولذا قال في الآية الأخرى﴿ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾. وقال تعالى﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾. فعصمه الله بالإخلاص واللجأ إليه كما قال ابن سعدي –رحمه الله–:" هذان الأمران من ألطاف حفظ الباري لخواص أنبيائه وأصفيائه صرف أسباب السوء والفحشاء الداخلية، وصرف الأسباب الخارجية، ومن أراد به خيرًا صرف عنه الأمرين اللذين هما مجموع الفتن، وذكر الله لهذا الصرف الذي هو من أجلِّ نعمه سببان:

أحدهما: قوة الإخلاص من العبد واستخلاص الله له.

---

(٢) الوافي في شرح الشاطبية (٢٩٥/١)

(٣) تفسير القرطبي (١٧٠/٩).

(٤) الاستقامة (٥٩/٢)

(٥) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان(١٤١/٢)

(٦) مفتاح دار السعادة (٢٧٧/١).

والثاني: اللهج بالتضرُّع والدعاء، فمن أخلص لله، استخلصه الله ووفقه لفعل الخيرات، وصرف عنه السوء والمكروهات، ومن تضرَّع له وألح بالدعاء، استجاب الله له فصرف عنه شر شياطين الإنس والجن، وكفاه كيد الكائدين ومكر الماكرين فيوسف –صلى الله عليه وسلم– لما كمَّل الأمرين الإخلاص لله، والتضرع له والالتجاء إليه والاعتصام به، حفظه الله حفظًا كاملًا من الشرور الباطنة والظاهرة، الداخلية والخارجية، والله تعالى يقصُّ علينا قصص أنبيائه؛ ليكون ذلك عبرة لنا، والعبرة هنا أن كل من له حظ من الإخلاص والدعاء والتضرع، فله حظ من حفظ الله وصيانته بحسب ما قام من قوة الأمرين أو ضعفهما، ومن فاته الأمران وُكِل إلى نفسه، ولم يحصل له حفظ ولا صيانة، ووقع في فتن الشهوات والشبهات."[1]

المبحث الحادي عشر: أثر الإيمان على إحسانه –عليه الصلاة والسلام–:

أولاً: بيان معنى الإحسان لغةً وشرعاً:

.....

الاحسان لغةً: "والإحسان ضد الإساءة، وهو محسن ومحسان وَيُقَال: أَحْسِنْ يَا هَذَا فإنّك مِحْسانٌ، أَي لَا تزَال مُحْسِناً." [2]

الإحسان شرعاً: قيل: ١–"الإحسان على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا أو عمل عملًا حسنًا"[3] الْإِحْسَان: "هُوَ فعل مَا ينفع غَيره بِحَيْثُ يصير الْغَيْر حسنا بِهِ"[4] فالإحسان بناءاً على هذه التعريفات إيصال الخير والنفع إلى الغير.

ثانياً: من مظاهر إحسانه –عليه الصلاة والسلام التي نتجت عن–إيمانه بالله تعالى:

١–دلت قصة يوسف على عظيم إحسانه مع–ربه ومولاه –وعلى إحسانه مع خلقه وعبيده بل لا أبالغ إن قلت إن هذه السورة العظيمة هي (سورة الإحسان) لتضمنها جميع صور الإحسان ومجالاته

- فالله عز جل **آتاه علماً وحكماً** وهذه من أجل ثمرات الإحسان.

(١) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (ص ٢٢٨)
(٢) انظر: القاموس المحيط (١١٨٩/١)، لسان العرب (١١٧/١٣)، تهذيب اللغة ٤(/١٨٣).
(٣) التوقيف على مهمات التعريف (٤٠/١).
(٤) الكليات (٥٣/١)

- والله **شهد له بأنه من أهل الإحسان** فقال تعالى:﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾. {سورة يوسف: الآية:٥٦}
- وقال تعالى:﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين ﴾. **{سورة يوسف: الآية:٩٠}** ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.{سورة يوسف: الآية: ٢٢}﴿ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن﴾..{سورة يوسف: الآية: ٣٣}

فالله يهب المحسن علماً وعملاً وفقهاً وثباتاً وبصيرةً وأجراً وحكماً ونبوةً جزاء إحسانه في أقواله وأعماله وذكر أن معيته لأهل الإحسان بتوفيقه لهم وتسديده إياهم لما فيه الخير والصلاح ورحمته قريبة من أهل الإحسان كيف لا وهو المحسن الذي أحسن كل شيء خلقه!! **وشهد له الفتيان** في السجن بإحسانه حينما استفتوه في تأويل الرؤيا فقالا له ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾{سورة يوسف: الآية:٣٦ } أي: في عبادة الله وفي السعي التام في نفع الخلائق وشهد له إخوانه بالإحسان فقالوا له : ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ {سورة يوسف: الآية:٧٨} فأنطقهم الله الذي أنطق كل شيء واعترفوا بفضله وسابق وإحسانه، وقد ظهرت علامات الإحسان ودلائل الإيمان على وجهه ولسانه وجوارحه ، وصاحب الإحسان يظهر إحسانه على وجهه .

"قال ابن جرير "اختلف أهل التأويل في معنى "الإحسان" الذي وصف به الفتيان يوسف. فقال بعضهم: هو أنه كان يعود مريضهم، ويعزي حزينهم، وإذا احتاج منهم إنسان جَمَع له."[1]

٢-﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾{سورة يوسف: الآية:٣٦}

فإن الفتيين اللذان دخلا معه في السجن كانا على ملة الكفر وقد وثقا به وبعلمه وبحكمته وثوقا شديدا فجاءا إليه يستفيانه حينما رأوا إحسان هذا النبي العظيم وحسن عطائه، وسعيه في نفع الناس، والاهتمام بهم والإحسان إليهم، وبذل الجهد في تحقيق مصالحهم على وجه حسن تستحسنه العقول السليمة والفطر النقية. ومن إحسانه لهما أنه لم يشرع في تأويل رؤياهما إلا بعد أن دعاهما إلى توحيد الله بذكر البراهين الدالة على وحدانيته وهذا يدل على أن أساس دعوة الأنبياء والمرسلين هو الدعوة الى توحيد الله وحده ويدل على حكمته في

[1] جامع البيان(١٦/٩٨).

باب الدعوة إلى الله تعالى من جهة مراعاته لقاعدة (البداءة بالأهم فالأهم) وكذلك إرادته الخير بالمسجونين لعل الله يفتح عليهم فيكون سببا في هدايتهم.

٣-ومن صور إحسانه بعده عن الوقوع في الحرام حين راودته امرأة العزيز فاستعاذ بالله من قولها ذاكرا إحسان سيده إليه﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾{سورة يوسف: الآية:٢٣} واختياره السجن للتخلص من مكر وكيد النساء.

٤-إحسانه إلى الناس باختياره منصب الولاية على خزائن الأرض.

٥-إحسانه لأخوته ويتجلى هذا الإحسان في صور عديدة:

تارة بإكرامهم والإحسان إليهم:﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾{سورة يوسف: الآية:٦٢}

وتارة بإسناد الشر إلى الشيطان وشركه:﴿ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾. {سورة يوسف: الآية:١٠٠}

وتارة بستر عيوبهم فلم يفضحهم:﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾{سورة يوسف: الآية:١٠٠} فلم يقل من الجب ويفضحهم، وهذا من تمام إحسانه.

وتارة بالصبر على آذاهم والدفع بالتي هي أحسن:﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ﴾{سورة يوسف: الآية:٧٧}

وتارة بالصفح عنهم وعدم توبيخهم وتأنيبهم:﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾. {سورة يوسف: الآية:٩٢}

٦-من صور إحسان الله إليه توفيقه لإسناد هذه النعم إلى مستحقها ومسندها﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾{سورة يوسف: الآية:١٠٠}

والشاهد أن نبي الله يوسف –عليه الصلاة والسلام –شهد له الجميع بإحسانه القريب والبعيد الصاحب والعدو {والده وعزيز مصر وامرأة العزيز النسوة والفتيان اللذان كانا معه في السجن وإخوته} وشهادة الله له أعظم وكفى بالله شهيدا هذا هو شأن أهل الإحسان فإن نفعهم متعد، وصدورهم منشرحة، والنعم عليم متواترة، والنقم عنهم مدفوعة، والرحمة منهم قريبة، ومعية الله لهم حاصلة، وأجرهم محفوظ.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسَّر ووفَّق وأتمَّ هذا البحث – بمنِّه وفضله وجوده وكرمه– وأسأله أن يجعله علماً نافعًا خالصًا لوجهه الكريم

فهذا عرض موجز لأهم **نتائج هذا البحث وتوصياته** وذلك كالتالي:

أولاً: النتائج:

١–أن كل خير ديني أو دنيوي يرجع إلى الإيمان وكماله، وكل فساد وشر يرجع إلى ما يناقضه أو ينقص منه.

٢–أن الإيمان هو الأساس القويم والركن المتين، لقيام شجرة الأخلاق الفاضلة فالإيمان ما وقر في القلب وصدقته الجوارح.

٣–أن الإيمان قول وعمل قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولا يتصور وجود أحدهما دون الآخر.

٤–أن القلب هو الأساس، وهو ملك الأعضاء وأشرفها على الاطلاق، بل هو موضع الإيمان والمعرفة، وآنية العلم والتوحيد، ومركز الاعتقادات، ومحل العزائم والإرادات، ومصدر السلوك والتوجيهات، ومنبع الشرور والخيرات، فبصلاحه يصلح العمل، وبفساده يفسد

٥–أن الإيمان له أهمية كبرى، وفوائد جمة، وآثار عظمى، على الأفراد والمجتمعات.

٦–أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام —هم أعظم الناس قدوة وأعلاهم قدراً، فحاجة البشرية لوجود الأنبياء أعظم من حاجتها للطعام والشراب ،والماء والدواء، فلا يمكن أن نستغني عنهم وعما جاؤوا به من الخير والصلاح والسعادة والفلاح.

٧–أن أخلاق الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام –أكمل الأخلاق والله تعالى–وصفهم في القرآن بأجمل الصفات وأزكاها ،فقد اتصفوا بالحياء، والعفة، والصدق، والصبر، والكرم، والحكمة ،والرحمة والحلم، والأمانة ،والعدل، والصلاح، والرشاد ،فهم صفوة الخلق الأخيار والمصْطفون الأبرار.

٨-وجوب الاقتداء والتأسي –بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام –في سلوكهم وأخلاقهم والحرص على السير على خطاهم، والاهتداء بهديهم.

ثانياً: التوصيات:

١-الحرص على غرس الإيمان في قلوب الناشئة، وتعظيم الله واجلاله في القلوب، وتأصيله في النفوس بالحث على -طلب العلم الشرعي، -فهو الأساس العظيم والركن القويم، لقيام شجرة الأخلاق الفاضلة فكلما عظم الايمان في النفوس كلما ظهر آثر ذلك في الجوارح.
٢-أهمية تذكير الناس بأن الإيمان قول وعمل والتركيز على هذ الجانب حتى لايقعوا في فكر الإرجاء
٣-غرس سير وصفات الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام –وأخلاقهم في المجتمعات عن طريق المحاضرات والخطب المنبرية والدروس العلمية والندوات.
٤-القيام بتدريس الطلاب والطالبات-سير أنبياء الله ورسله -والاهتمام بهذا الجانب وإبرازه ببيان صفاتهم الحميدة، وأخلاقهم النبيلة، ومكانتهم وقدرهم، وربط ذلك بالنصوص الشرعية حتى يقتدوا بهم ويسلكوا مسلكهم.
٥-أهمية تذكير الناس بالقراءة في -سير أنبياء الله ورسله-واتخاذهم قدوة، باقتفاء آثارهم، والتخلق بأخلاقهم والاهتداء بهديهم، وسنتهم، والاهتمام بهذا الجانب لأن به صلاح النفس والأفراد والمجتمعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع:

١.القرآن الكريم.
٢.الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، للإمام: أبي عبد الله ابن بطة العكبري تحقيق: رضا نعسان – يوسف الوابل، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض –ط(٢) ١٤١٥هـ.
٣. الاستقامة، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني تحقيق: د. محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود –المدينة المنورة ط(١) ١٤٠٣هـ.
٤.. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض دار الكتب العلمية – بيروت ط(١) –١٤١٥ هـ
٥. أصول السنة لمحمد بن عبد الله بن عيسى الأندلسي –ابن زمنين–تحقيق: عبد الله بخاري مكتبة الغرباء الأثرية، –المدينة المنورة، ط:(١)١٤١٥هـ.
٦. الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ط (١٥) ٢٠٠٢ م.
٧إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية
تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط(بدون)
٨–اقتضاء الصراط المستقيم، لتقي الدين أحمد ابن تيمية الحراني، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل دار عالم، –بيروت–ط:(٧)، ١٤١٩هـ –١٩٩٩م
٩. إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم دار الفكر العربي –القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ط (١) ١٤٠٦ هـ –١٩٨٢م.
١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي – بيروت ط(١) –١٤١٨ هـ
١١–الإيمان، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: ناصر الدين الألباني ط(٣)١٣٩٩هـ.
١٢. الإيمان، للحافظ محمد بن إسحاق بن مندة، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي مؤسسة الرسالة – بيروت–ط(٢) ١٤٠٦هـ
١٣. البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي جميل دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٤. البر والصلة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، مؤسسة الكتب الثقافية، –بيروت لبنان ط:(١)١٤١٣هـ.
١٥. البداية والنهاية، للحافظ إسماعيل ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، –بيروت لبنان، ط(١).
١٦. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، – بيروت لبنان، ط:(١).
١٧. تاج العروس من جواهر القاموس محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية ط (بدون).
١٨.التحرير والتنوير، للأستاذ محمد الطاهر عاشور. الدار التونسية للنشر – تونس١٩٨٤م.
١٩. تاريخ الأنبياء، لمحمد لطيب النجار، مكتبة المعارف، ط:(٢) ١٤٠٣هـ.
٢٠. تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية –بيروت ط:(١)١٤١٧هـ.
٢١. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن المبارك فوري، دار الكتب العلمية –بيروت، ط(٤) ١٤١٧هـ.
٢٢. التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية –بيروت، ط(٣) ١٤٠٨هـ.
٢٣. تفسير القرآن العظيم، للحافظ إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ط(١) –١٤١٩ هـ.
٢٤. تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الحميري، دار الكتب العلمية–بيروت، ط (١)
٢٥. تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة –بيروت، ط(٢).
٢٦. تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة –بيروت، ط(٢) ١٣٩٥هـ.
٢٧. التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري تحقيق: الدكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق الطبعة: (٢) ١٩٩٦م
٢٨.. التمهيد، أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، –المغرب، ١٣٨٧هـ.
٢٩. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابي علي أحمد بن محمد مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية، ط(١)

٣٠ تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، ط(١)، ١٤٠٤هـ.
٣١.. تهذيب السنن، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، –تحقيق: أحمد شاكر وحامد فقي دار المعرفة بيروت ط (بدون).
٣٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: د. بشار عواد مؤسسة الرسالة، –بيروت، ط:(١)١٤٠٠ هـ.
٣٣ تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، –بيروت، ط(١).
٣٤. التوحيد، لمحمد بن إسحاق بن مندة، تحقيق: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا ط(١)، ١٤٢٣ هـ –٢٠٠٢ م.
٣٥.. توضيح شجرة الايمان، لعبد الرحمن السعدي، ط (بدون)
٣٦. التوقيف على مهمات التعاريف زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري عالم الكتب القاهرة(١) ١٤١٠هـ–١٩٩٠م
٣٧ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن السعدي، دار المدني، ١٤٠٨هـ.
٣٨. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. ط(بدون).
٣٩. جامع البيان في تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر مؤسسة الرسالة، بيروت ط(١)١٤٢٠هـ
٤٠. جامع العلوم والحكم، للحافظ عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط –إبراهيم باجس مؤسسة الرسالة، –بيروت ط(٧) ١٤٢٢هـ.
٤١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، –القاهرة، ط:(٢)١٤٠٨هـ.
٤٢. الجواب الكافي لم سأل عن الدواء الشافي، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية دار عالم الفوائد، –مكة المكرمة، ط:(١)١٤٢٩هـ.
٤٣. الحجة في بيان المحجة، لإسماعيل بن محمد الفضل الأصفهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي ومحمد أبو رحيم –دار الراية –الرياض ط(٢) ١٤١٩هـ –١٩٩٩م
٤٤. حلية الأولياء، لأحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، ط(١)١٤١٢هـ.
٤٥. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأحمد بن عبد الله الخزرجي، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، –حلب بيروت، ط(٥)١٤١٦هـ.

٤٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد الله التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث –القاهرة ط(١)١٤٢٤هـ.
٤٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، –دار الأندلس، بيروت ط(١) ١٤٠٢هـ.
٤٨. الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، دار السلام، –القاهرة، ١٤٢٨هـ.
٤٩.زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط(٢) ١٤٠٥هـ.
٥٠.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود بن عبد الله الألوسي دار الكتب العلمية –بيروت ط(١)١٤١٥هـ.
٥١.السلسلة الصحيحة، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف–الرياض، ط:(١)١٤١٥هـ.
٥٢.سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول لحافظ بن أحمد الحكمي، مكتبة السوادي، ط(١) ١٤٢٢هـ.
٥٣.سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ،المكتبة العصرية، –صيدا بيروت .
٥٤.سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي مطبعة مصطفى البابي الحلبي –مصر ط(٢)١٣٩٥هـ.
٥٥.سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المختصين إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط(٧) ١٤١٠هـ.
٥٦.شذرات الذهب، لعبد الحي ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط دار ابن كثير، دمشق – بيروت ط(١)، ١٤٠٦ هـ .
٥٧.شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد الزهراني دار طيبة – الرياض (٥)١٤١٨هـ.
٥٨.شرح السنة، لحسين بن مسعود الفراء البغوي، المكتب الإسلامي، –دمشق بيروت، ط:(٢)١٤٠٣هـ.
٥٩.شرح صحيح مسلم، ليحي بن شرف النووي، دار الراية للتراث، ط(١) ١٤٠٧هـ.
٦٠.الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، دار الوطن الرياض–السعودية، ط:(٢)١٤٢٠هـ

٦١.الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده العلمية، لزيد بن محمد المدخلي، دار علماء الأسلاف –الاسكندرية، ط(٢) ١٤١٣هـ.
٦٢.الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية الحراني، الناشر: الحرس الوطني السعودي المملكة العربية السعودية.
٦٣.الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين – بيروت، ط(٢) ١٤٠٤هـ.
٦٤.صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير –دمشق بيروت، ط(٤) ١٤١٠هـ.
٦٥.صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر لبنان–بيروت، ١٤٠٣هـ.
٦٦.الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد البصري، مكتبة العلوم والحكم، –المدينة المنورة، ط(٢)١٤٠٨هـ.
٦٧.طبقات الحنابلة، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي دار المعرفة — بيروت
٦٨.طريق الهجرتين وباب السعادتين، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر
ط(٢) ١٣٩٤هـ
٦٩.عدة الصابرين، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية دار ابن كثير، –دمشق، ط:(٣)١٤٠٩هـ.
٧٠.العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي، مطبعة المدني –مصر.
٧١.العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، أضواء السلف–الرياض، ط:(٢) ١٤٢٠هـ.
٧٢.عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأحمد بن حسين بن علي رسلان الرملي بيت الأفكار الدولية. ط(بدون)
٧٣.العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٧٤.فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية، –المدينة المنورة ط(١) ١٤١٧هـ.
٧٥.فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر، عالم الكتب — بيروت(بدون)

٧٦.الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، – القاهرة مصر.
٧٧.فيض القدير، لعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى–مصر، ط(١)١٣٥٦هـ.
٧٨.القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة
بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان ط(٨)، ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م.
٧٩.قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لمحمد بن صديق القنوجي تحقيق: د. عاصم القريوتي دار النشر: بدون ط(١).١٤٠٤هـ١٩٨٤م.
٨٠.الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري مؤسسة الرسالة– بيروت، ١٤١٩هـ.
٨١.لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بمن مكرم بن منظور، دار صادر–بيروت ط(١)١٤١٠هـ.
٨٢.لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي. زارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد –المملكة العربية السعودية ط(٢) –١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م
٨٣.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسين نور الدين الهيثمي، مكتبة القدسي–القاهرة، ١٤١٤، هـ.
٨٤.مجموع الأوابد واقتناص الفوائد للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –قطر ١٤٣٢هـ ط(١)
٨٥.مجموع فتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.
٨٦.مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط(٥)١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
٨٧.مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية دار الكتاب العربي–بيروت، ١٣٩٢هـ.
٨٨.مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: مجموعة من المختصين بإشراف شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ط(٢)١٤٢٠هـ.

٨٩.مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ت: الالباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط(٣)١٩٨٥م.
٩٠.معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي –بيروت ط(١)، ١٤٢٠ هـ
٩١.المعجم الكبير. لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي مكتبة ابن تيمية –القاهرة ط(١).
٩٢.معجم المؤلفين، لعمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار احياء التراث العربي-بيروت ط(بدون)
٩٣.معجم مقاليد العلوم الحدود والرسوم، لجلال الدين السيوطي، مكتبة الآداب-القاهرة، مصر ط (١).
٩٤.معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، دار الإحياء للتراث العربي، -بيروت لبنان ط(١) ١٤٢٤هـ.
٩٥.مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي دار إحياء التراث العربي –بيروت ط(٣)١٤٢٠هـ
٩٦.مفتاح دار السعادة، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية دار الكتب العلمية -بيروت.
٩٧.المفردات في ألفاظ القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، الدار الشامية- دمشق -بيروت ط:(١)١٣١٢هـ.
٩٨.ميزان الاعتدال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، -لبنان ط:(١)١٣٨٢هـ.
٩٩.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة.
١٠٠.النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، المكتبة العلمية – بيروت ،١٣٩٩م.
١٠١.الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي مكتبة السوادي للتوزيع ط(٤)١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م.
١٠٢.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط(١)١٩٩٤م.